المجلة الشهرية

الإشراق

أبريل ٢٠٢٥م

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المشرف الأعلى
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي

المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ۝ أُولٰٓئِكَ أَصْحٰبُ الْجَنَّةِ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ (سورة الأحقاف: ١٣-١٤)

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

المجلة الشهرية

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المجلد الأول | العدد الثالث | أبريل ٢٠٢٥م | شوال المكرم ١٤٤٦هـ

المشرف الأعلى
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

المجلس التحريري
ريحان أحمد يوسفي، د. محمد عمار خان ناصر، محمد ذكوان الندوي
محمدعامركزدر، د.عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش، عثمان فاروق

الفهرس

الشذرات

إشراقة (كلمة المدير)	رئيس التحرير	3
انطباعات القارئين عن المجلة	إدارة التحرير	7

القرآنيات

البيان: البقرة٢ :١٦-٣٩ (٣)	جاويد أحمد غامدي	9

المعارف النبوية

الأحاديث	جاويد أحمد غامدي	14

مقامات

مقطتف من "مقامات" (٢)	جاويد أحمد غامدي	16

الدين والمعرفة

مقطتف من "ميزان" (٢)	جاويد أحمد غامدي	24

آثار الصحابة

إكرام أهل البيت الكرام وتبجيلهم (٦)	أ. د/ محمد عمار خان ناصر	34

www.ghamidi.org

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

الدراسات

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي (٢) سيد منظور الحسن 38
قضية التبديل في نصابات الزكوة:بين القرضاوي وغامدي محمد حسن إلياس 42
قضية نزول المسيح: موقف الأستاذ الغامدي (٣) سيد منظور الحسن 49
بحث في الخلافة (١) الشيخ علي عبد الرزاق/ 62
د. محمد غطريف شهباز الندوي

التذكير

تجربة العيد الأبدي محمد ذكوان الندوي 67
ليكن يستمر رمضان حتى رمضان القادم! عثمان فاروق 71

وجهة النظر

الهويات الدينية والوضع التاريخي والتحديات التي تواجهها د. محمد عمارخان ناصر 78
أسباب الضلال الفكري (٢) محمد حسن إلياس/ 83
شاهد رضا
فكر الأستاذ غامدي: مراجعة لبعض الاعتراضات أ. د/ عرفان شهزاد 87

المختارات

لمسات بيانية في الإسراء والمعراج (٢) دكتور فاضل صالح السامرائي 96
أية سورة من القرآن أنزلت أولًا؟ الإمام المحدث شبير أحمد أزهر الميرتهي/ 104
مقتطف من شرح البخاري (٢) د. محمد غطريف شهباز الندوي
كلمة سماحة الشيخ ابي الحسن الندوي في ندوة الإمام الفراهي(٢) 110
دراسة مواقف علي ومعاوية رضي الله عنهما عن التحكيم (١) 114
العلامة شبير أحمد أزهر/ د.غطريف شهباز الندوي

في السيرة

حياة أمين (٢) نعيم أحمد بلوش 119
أمير البيان شكيب أرسلان كاتب كبير وداعي العروبة والإسلام (١) 131
د. محمد غطريف شهباز الندوي

الأحداث

نشرة أخبار "المورد" أمريكا شاهد محمود 138

د. محمد غطريف شهباز الندوي

إشراقة

أيها القارئ الكريم!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إنه قد أدرّ حبر وفير و كتب الكثير عن مصطلح "إسلامية المعرفة" أو "أسلمة العلوم" (Islamization of Knowledge) ، وعقدت حوله مئات المؤتمرات الوطنية والندوات الدولية، كما أُطلقت العديد من المشاريع التعليمية والبحثية التي تناولت الأفكار والرؤى والمفاهيم المنبثقة عنه. حتى أصبح هذا المصطلح شبيهًا بالشعارات الحماسية والهتافات الجذابة لدى كثير من المهتمين بقضايا الأمة الإسلامية شرقًا وغربًا.

وفي هذا السياق، برز العديد من الكُتّاب والمفكرين وعلماء الدين والفقهاء الذين جعلوا هذا المفهوم محورًا لأطروحاتهم وأعمالهم الإصلاحية، ومن أبرزهم منظّره الأول، الباحث والمفكر الإسلامي الفلسطيني الشهيد إسماعيل الراجي الفاروقي (المتوفّى: ١٩٨٦م)، والعالم والأديب المفكر والتربوي السعودي عبد الحميد أحمد أبو سليمان (المتوفّى: ٢٠٢١م)، والمفكر والفقيه العراقي طه جابر العلواني (المتوفّى: ٢٠١٦م)، وغيرهم ممن تبنّوا هذا النهج في التفكير والعمل.

ولا يمكننا إنكار أن هذه المصطلحات وما أثارته من اهتمامات ونشاطات وتحركات حولها قد أسهمت في تحقيق الكثير من الخير لصالح الإسلام والمسلمين، حيث أدّت إلى نجاحات ملموسة في تجديد الفكر الإسلامي، وإحياء الفقه،

ومراجعة كتب التراث، وتجلية وترقية فكرة مقاصد الشريعة الإسلامية وإثراء مفهوم مقاصد القرآن العلياالتزكية والتوحيد والعمران. ولكن – وهذا "لكن" كبير – لم يتحقق في البلدان الإسلامية، سواء الكبرى أو الصغرى، ما كان يُؤمل من هذا النشاط الفكري، من نهوض تعليمي حقيقي، أو تقدم علمي وتكنولوجي، حتى في الدول الغنية التي تمتلك موارد طبيعية وفيرة.

ويعود ذلك، من جهة، إلى الأنظمة السياسية المستبدة التي جلبت الويلات والويلات للعالم الإسلامي، ولم تهتم إلا بالمكاسب الشخصية والمصالح الفردية – إلا ما شاء الله. ومن جهة أخرى، إلى تبني الجماعات الدينية والمعاهد العلمية لأولويات غير معاصرة، وترجيحات غير مجدية، وهتافات لا أثر لها في الواقع العملي.

حقيقة التصنيف بين "إسلامي" و"غير إسلامي"

إنه الحق والحق يُقال أن ليس هناك علم "إسلامي" وآخر "غير إسلامي"، ولا اقتصاد "إسلامي" وآخر "غير إسلامي"، أو أدب "إسلامي" وآخر "غير إسلامي". وعلم النفس الإسلامي وغيرالإسلامي وغيره.وكل هذه العلوم ،مع مافيها ماهو صالح وماهو طالح وعلى اختلافها بين النافع والضار، هوثمرة جهودجبارة إنسانية مشتركة ومساعي محمودة شارك فيها كل الثقافات والحضارات وتمخضت بها تجارب البشرية على مرّ الدهور والأحقاب، وساهمت في تنميتها مختلف الثقافات والحضارات عبر العصور. وقد علّمنا ديننا أن ننتفع بالحكمة أينما وجدناها، وفقًا للمبدأ الإسلامي الراسخ: "خذ ما صفا ودع ما كدر".

إننا في عصر العولمة، ولا يمكننا أن ننعزل عن العالم، ولا أن نعيش في جزيرة منفصلة، وليس هذا من مطالب الدين. فالإسلام يُعنى بتزكية النفس، وتنمية الأخلاق، وتربية الذات، أما ما عدا ذلك، من علوم واختراعات وثقافات وآداب وعلاقات، فهو من شؤون الدنيا. وقد بيّن لنا النبي ﷺ ذلك بوضوح حين قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" (رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها).

وعليه، فإن الدين لا يمنع المسلم من السعي في ميادين العلوم والآداب

والتكنولوجيا والاكتشافات، بل يوجّهه إلى كيفية التعامل في المسجد، وفي السوق، وفي التجارة، وفي البرلمان وفي أي مجال من مجالات الحياة، بحيث تكون تصرفاته وأعماله متوافقة مع تعاليم الإسلام، ومستمدة من مبادئه، ليكون بذلك نموذجًا راقيًا في مجتمعه، وزادًا لآخرته.

واقع العالم الإسلامي والتحديات المعاصرة

إن العالم اليوم يضم ثلاثة أنواع من الاقتصادات:

١- الاقتصادات المنتجة: مثل: إسرائيل، وأوروبا الغربية، وأمريكا، وروسيا، واليابان، والصين. ومن بين الدول الإسلامية، لا تندرج في هذه الفئة سوى تركيا وماليزيا – إلى حد ما.

٢- الاقتصادات الريعية والبترولية: مثل دول الخليج الغنية التي تعتمد على البترول، بينما تحاول دبي أن تعتمد على بنيتها التحتية المتطورة لكي تقوم فيها نشاطات التجارة العالمية والثقافة والسياسة والعلاقات الدولية وتكتسب من خلالها الأرباح الريعية.

٣- الاقتصادات النامية: وتشمل دول العالم الثالث، مثل الهند، التي تمضي قدمًا اعتمادًا على قوتها الناعمة، لا سيما في مجال تكنولوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي. أما بقية الدول الإسلامية، فتعتمد اقتصاداتها بالكامل على القروض من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، أو على المساعدات الخارجية من الدول الغنية.

نحو نهضة إسلامية علمية حقيقية

إن حاجتنا اليوم أشد ما تكون إلى العودة إلى أصولنا في الكتاب والسنة، وما أجمع عليه السلف الصالح من اعتقاد وعمل، مع الأخذ بما هو نافع وترك ما هو غير مجدٍ. كما أننا بحاجة إلى الاستفادة من كل ما حققته الإنسانية من علوم ومعارف متطورة، والسير بخطى ثابتة نحو التقدم في التكنولوجيا الحديثة والذكاء الاصطناعي وعلوم العصر، مسترشدين بحديث النبي ﷺ: "الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها" (أخرجه الترمذي: ٢٦٨٧). وهذا وذلك مانرمي إليه

بمصطلح الأصالة والمعاصرة.

حول هذا العدد من مجلة "الإشراق"

في هذا العدد الثاني من (الإشراق) ، وكما في العددين السابقين، نقدم للقارئ العربي مختارات من النسخة الأردية لعدد مارس ٢٠٢٥، إلى جانب بعض الأبحاث المستقلة. وسنواصل ذلك كل شهر بالعمل بجدية أكبر لجعل مجلتنا أكثر حرية في طرح مواضيعها، وأكثر دقة في انتقاء مقالاتها وبحوثها، بما يضمن تقديم محتوى متميز ومبدع. وقد استلمنا ببعض الانطباعات من قراءنا الكرام وأصدقاءنا الأفاضل فنرحب بها وسنشيد مستقلاً أيضا بجميع الملاحظات النقدية من قرائنا الأعزاء، ونعد بأخذها بعين الاعتبار في مسيرتنا المعرفية هذه نحو التطوير المستمر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم في الدين

أ. د محمد غطريف شهباز الندوي

(٩ أبريل ٢٠٢٥ م)

إدارة التحرير

بعض الانطباعات عن مجلة الإشراق العربية

[قد بدأنا سفرنا هذا منذ شهرين فقط، وتلقينا
خلالها كلمات تقدير واقتراحات مفيدة من قراءنا
الكرام نود أن نهدي البعض من تلك الانطباعات
الكريمة إلى القارئ الكريم]

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد ألقيت النظر على بعض صفحات العدد الأول للمجلة وخاصة على كلمة العدد، فوجدت مادتها قيمة ومفيدة ولغتها فصيحة وممتعة جدا، بارك الله في عمرك ورزقك وجهودك في مجال اللغة العربية.

تقبلوا مني أخلص التهاني وأحر التبريكات على رئاسة تحرير مجلة الإشراق باللغة العربية.

دمتم متألقين على سماء العلم والأدب.

أخوك

د. عرفات ظفر

(الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بجامعة علي كره الهند)

"ماشاء الله

تقبل الله جهودك العلمية وجعلها ذخرا لك في الآخرة

إن هذه المجلة ستمثل دورا بارزا في توسيع الفكر الغامدي في الأوساط

العلمية العربية وتتبادر مهارتك في نقل المقالات الأردية إلى العربية بأسلوب جيد حيث تلزم المستوى العلمي الرفيع وماشاء الله لغتك جيد"

الدكتورأبو سعد الأعظمي الإصلاحي

الزميل في إدارة علوم القرآن بعلي كره

"إنه عرض ممتاز ومعياري. العربية للدكتور غطريف شهباز ندوي طبيعية تمامًا وعالية المستوى، ولا يظهر أي أثر للعجمة، ولا يوجد أي تصنع أو تكلف في التعريب. الطباعة والنشر أيضًا جميلة وجذابة. أهنئ الإشراق العربي على نشره من أعماق قلبي.(مترجمة من الأردية)

(الأخ شكيل الأعظمي)

السلام عليكم

"جميل جداً ومخطط جيداً "

الدكتورخالد الطابا

رئيس مؤسسة دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع

و مديرها العام بيروت،لبنان

(إدارة التحرير)

القرآنيات

البيان[1]

جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البقرة

(٣)

أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الضَّلٰلَةَ بِالْهُدٰى ۪ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا ۚ فَلَمَّآ اَضَآءَتْ مَا حَوْلَهٗ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُوْرِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِىْ ظُلُمٰتٍ لَّا يُبْصِرُوْنَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُوْنَ ﴿١٨﴾ اَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيْهِ ظُلُمٰتٌ وَّرَعْدٌ وَّبَرْقٌ ۚ يَجْعَلُوْنَ اَصَابِعَهُمْ فِىْٓ اٰذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ؕ وَاللّٰهُ مُحِيْطٌۢ بِالْكٰفِرِيْنَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ اَبْصَارَهُمْ ؕ كُلَّمَآ اَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيْهِ ۙ وَاِذَآ اَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوْا ؕ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَاَبْصَارِهِمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٢٠﴾

يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوْا رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ﴿٢١﴾ الَّذِىْ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِرَاشًا وَّالسَّمَآءَ بِنَآءً ۖ وَّاَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَاَخْرَجَ بِهٖ مِنَ الثَّمَرٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۚ فَلَا تَجْعَلُوْا لِلّٰهِ اَنْدَادًا وَّاَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴿٢٢﴾

---

[1] ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسير البيان للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقله إلى العربية: د.م. غطريف شهباز الندوي.

وَاِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا فَاْتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهٖ ۪ وَادْعُوْا شُهَدَآءَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٢٣﴾ فَاِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا وَلَنْ تَفْعَلُوْا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْ وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۚ اُعِدَّتْ لِلْكٰفِرِيْنَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ اَنَّ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ ؕ كُلَّمَا رُزِقُوْا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوْا هٰذَا الَّذِيْ رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۙ وَاُتُوْا بِهٖ مُتَشَابِهًا ؕ وَلَهُمْ فِيْهَآ اَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۙ وَّهُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ﴿٢٥﴾

اِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيٖٓ اَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوْضَةً فَمَا فَوْقَهَا ؕ فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فَيَعْلَمُوْنَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّهِمْ ۚ وَاَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَيَقُوْلُوْنَ مَاذَآ اَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهٖ كَثِيْرًا ۙ وَّيَهْدِيْ بِهٖ كَثِيْرًا ؕ وَمَا يُضِلُّ بِهٖٓ اِلَّا الْفٰسِقِيْنَ ﴿٢٦﴾ الَّذِيْنَ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْۢ بَعْدِ مِيْثَاقِهٖ ۠ وَيَقْطَعُوْنَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَيُفْسِدُوْنَ فِي الْاَرْضِ ؕ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ﴿٢٧﴾

كَيْفَ تَكْفُرُوْنَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ۚ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِيْ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا ۚ ثُمَّ اسْتَوٰٓى اِلَى السَّمَآءِ فَسَوّٰىهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ ؕ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿٢٩﴾

وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ؕ قَالُوْٓا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ ۚ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؕ قَالَ اِنِّيْٓ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ ۙ فَقَالَ اَنْۢبِـُٔوْنِيْ بِاَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٣١﴾ قَالُوْا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ؕ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يٰٓاٰدَمُ اَنْۢبِئْهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ ۚ فَلَمَّآ اَنْۢبَاَهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ ۙ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ اِنِّيْٓ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۙ وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ﴿٣٣﴾

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْٓا اِلَّآ اِبْلِيْسَ ؕ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ ۫ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يٰٓاٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ۪ وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظّٰلِمِيْنَ ﴿٣٥﴾ فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ ۪ وَقُلْنَا اهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۚ وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَّمَتَاعٌ اِلٰى حِيْنٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقّٰٓى اٰدَمُ مِنْ رَّبِّهٖ كَلِمٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ؕ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوْا مِنْهَا جَمِيْعًا ۚ فَاِمَّا يَاْتِيَنَّكُمْ مِّنِّيْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَآ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ﴿٣٩﴾

وهم الذين فضلوا الضلال على الهداية، لذلك لم تكن صفقتهم هذه ذات فائدة وربح (لهم) ولم يتمكنوا من إيجاد طريق لهم وسبيل. (١٦)

مثالهم كما لو أن رجلا أشعل نارا، ثم عندما أضاءت النار جوّه وبيئته، سلب الله نورأولئك الذين قد أشعلت النار من أجلهم، وتركهم في الظلام بطريقة لايتمكنون من رؤية أي شيء. إنهم صم، بكم، عمي، لذلك لن يعودوا أبدا. أو كأنها تمطر من السماء وفيها غيوم داكنة، ورعد وبرق، فيضعون أصابعهم في آذانهم خوفا من الموت، برغم أن الله يحيط بهؤلاء الجاحدين من كل حدب وصوب. ويكاد البرق يخطف ابصارهم فعندما يومض البرق عليهم، فإنهم يتحركون شيئا فيه، ولكن يقفون ساكنين عندما ينزل الظلام عليهم. ولو أراد الله، لكان قد ذهب بآذانهم وأبصارهم في الواقع، فإن الله لديه سلطة على كل شيء وقدرة. (١٧-٢٠)

(لماذا تدمرون أنفسكم باتباعهم؟) أسجدوا أنتم لربكم أيها الناس! الذي خلقكم وخلق الذين من قبلكم لكي تخلصوا من عذابه وتتقوه. فهو الذي جعل لكم الأرض مهاداً والسماء سقفاً وأنزل ماءً من السماء وصنع منها جميع أنواع الثمار لتكون لكم قُوتاً ورزقاً. لذلك لا تجعلوا لله أنداداً وشركاء وأنتم تعلمون، أي على الرغم من أنكم تعرفون كل ذلك. (٢١-٢٢)

(فهذه هي دعوة هذا الكتاب فاقبلوها)، وإذا كانت لديكم شكوك حول ما أنزلناه إلى عبدنا، (فاذهبوا) واصنعوا سورةً مثلها، وادعوا أيضاً (لذلك) ما لديكم من زعماء غير الله، إذا كنتم صادقين (في ظنكم هذا). وإذا كنتم لا تستطيعون، ولن تستطيعوا ، فعليكم أن تخافوا النار التي سيكون وقودها أولئك الذين لا يؤمنون، وأيضا حجارتهم التي يعبدونها. فإنها أعدت لهؤلاء الكفار الجاحدين. وبشر (أيها الرسول) أولئك الذين آمنوا بهذا الكتاب وعملوا الصالحات والخيرات، أن لهم هناك حدائق تجري تحتَها الأنهار. كلما أعطيت لهم أي من ثمارهم ليأكلوها، سيقولون: هذا هو الذي قد أعطي لنا من قبل، مع أنهم سيُعطون مثله ومشابهه، وستكون لهم هناك زوجات طاهرات عفيفات ويسكنون في تلك الحدائق خالدين. (٢٣-٢٥)

(هذا مثل الجنة و) الله لا يخجل من أن يضرب لكم (لإيضاح حقيقة) مَثَلَ البعوضة أو شيء أتفه منه. ثم الذين يؤمنون هم يعرفون أن هذا هو الحق الذي جاء من ربهم، والذين لا يؤمنون يقولون: ماذا أراد الله بهذا المثال؟ (وبهذه

الطريقة) يضل الله الكثيرين عنه ويرشد الكثيرين منه، والحقيقة هي أنه لا يضل به إلا المتمردين المعاندين. الذين ينقضون عهد الله من بعد أن تعاهدوه ويقطعون ما أمر الله بوصله وبالتالي يتسببون للفساد في الأرض. هؤلاء هم الذين خسروا كل الخسران (سواء في الدنيا أو في الآخرة). (٢٦- ٢٧)

(أيها الناس) كيف تكفرون بالله ، مع أنكم كنتم ميتين ، فقد أعطاكم الحياة؟ ثم يميتكم ، ثم سيعطيكم الحياة ثانيا ، ثم ترجعون إليه. هو الذي خلق لكم كل ماهو على الأرض من أشياء، ثم التفت إلى السماء، وخلق السماوات السبع وسوّاهن، وهو بكل شيئ عليم. (٢٨-٢٩)

(وأسألهم: يا رسول كيف هم يكفرون؟). وأخبرهم (لكي يفهموا خطتنا لهذا العالم) بحادث عندما قال ربك للملائكة: سأخلق في الأرض مخلوقا يُعطى له ملكه قالت الملائكة: "هل تخلق فيه مخلوقا يسيء سلوكه ويسفك الدماء هناك، وحالنا هنا أننا نحمدك ونثني عليك تمجيداً وتسبيحاً وتقديساً لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون. وعلم آدم جميع الأسماء (ليشرح لهم القضية). ثم قدم أولائك الكائنين (الذين عُلّم آدم أسمائهم) إلى الملائكة. ثم قال لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء، إذا كنتم صادقين (في خيالكم هذا). فأجابت الملائكة: "سبحانك إن ذاتك خالية من كل العيوب، ولانعلم ولا نعرف إلا بقدر ما أخبرتنا. إنك أنت العليم الحكيم. قال: ياآدم، أخبرهم بأسماء هؤلاء الكائنين، ثم عندما عرّفهم إليهم، قال: ألم أقل لكم إنني أعرف أسرار السماوات والأرض، وأعرف ما تكشفونه وما كنتم تخفونه. (٣٠-٣٣)

وأروِ لهم (لفهم اختبار الإنسان في مخططنا) حادثاً عندما قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم، فسجدوا جميعًا، باستثناء إبليس. ألذي أبى ورفض واستكبر وهكذا انضم إلى الكفار الجاحدين. قلنا: يا آدم، أسكن أنت وامرأتك في هذه الجنة وتأكلان منها بحرية من أي مكان شئتما. ولكن لا تذهبا إلى هذه الشجرة ولاتقرباها، وإلا فستكونا من الظالمين. ثم أغواهما الشيطان من ذلك، وأخرجهما من الحالة التي كانا فيها. فقلنا لهما: "أهبطا وأنزلا من الجنة، الآن أنتم أعداء لبعضكم البعض، وعليكم البقاء على الأرض لفترة معينة من الزمن والتعايش هناك. ثم تعلم آدم بضع كلمات من ربه، (وتاب بها اليه)، فرحمه وغفر له. حقًا إنه

هو الأكثرغفرانًا، ورحمته أبدية. وقلنا لهما: إهبطا وأنزلا من هنا، وإذا جائكم أي هدىً مني فاتبعوه، لأن الذين يتبعون هدايَ ستكون لهم الجنة، فلا خوف عليهم ولاهو يحزنون أبدًا. والذين يكفرون ويكذبون بآياتنا هم أهل الجحيم، وسوف يخلدون فيه إلى الأبد. (٣٤-٣٩)

(يُتبع)

المعارف النبوية

الأحاديث

انتقاها: جاويد أحمد غامدي

— ١ —

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، والذينَ علَى إثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ علَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ، لا اخْتِلَافَ بيْنَهُمْ ولَا تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ منهمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ واحِدَةٍ منهما يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِن وراءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللهُ بُكْرَةً وعَشِيًّا، لا يَسْقَمُونَ، ولَا يَمْتَخِطُونَ، ولَا يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ والفِضَّةُ، وأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، ووَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأُلُوَّةُ - قالَ أَبُو اليَمَانِ: يَعْنِي العُودَ -، ورَشْحُهُمُ المِسْكُ. (رواه البخاري في صحيحه، رقم٣٢٤٦)

— ٢ —

عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لغدوة في سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم، أو موضع قدمه من الجنة، خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها " (أخرجه أحمد، رقم١٣٧٧٩)

— ٣ —

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا

فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا". (رواه الإمام أحمد (٢٢١٠١)، والترمذي (١١٧٤)، وابن ماجة (٢٠١٤)، والطبراني في "الكبير" (٢٢٤) ، وأبو نعيم في "الحلية" (٢٢٠٥)

جاويد أحمد غامدي

مقامات

الحلقة الثانية

حكاية سفر

كنت أدرس في المدرسة لكن الوالد لم يطمن إليه. وكان يرغب في أن اتعلم اللغات العربية والفارسية والسنسكرتية مع ذلك، ولا إمكان له، وفي هذا الأثناء أصبح الوالد مؤظفا في عقار الشيخ محمد حسين بولدة في ضواحي پاك فتن. وبعد عدة شهور للعمل حينما اطمئن الوالد بهذه الوظيفة قطعت الوالدة للذهاب إلى قرية الشيخ محمد تسمى ناگفال واقعة على مسافة ميلين ونصف من محطة سكة الحديد 'بكاسدهار' التي تذهب إلى 'سمه ستة'. فأُدخلت في مدرسة 'بكاسدهار' بعد مغادرة مدرسة ايم سي الابتدائية لپاك فتن. وكانت مشتملة على قاعة فقط ليس فيها فراش. فكنا نقطف أغصانا من أعشاب نابتة مع سكة الحديد ونكسح الفراش بأوراقها ثم نجلس عليها. وكان في القرية مسجد صغير وكان الوالد يصحبني إذا ما يذهب للصلاة. وكان المولوي نور أحمد إماماً وخطيباً في هذا المسجد. وكان ينتمي في الأغلب إلى المدرسة الديوبندية كما أتذكر الآن. ولما كلمه الوالد في أمر دراستي قال: أنا مستعد لتدريسه العربية والفارسية ففرح الوالد أيما فرح. واستشار من والدتي وقضى أن آخذ بعض الراحة بعد الأياب من المدرسة، ثم اذهب إلى المسجد لصلاة العصر فأقرأ على الشيخ نور أحمد العربية والفارسية من العصر حتى المغرب.

ولما ذهبنا إلى 'ناگفال' كنت في الصف الثالث وجرت سلسلة القرآة على

الشيخ نور أحمد حتى الصف الخامس فأقرأني كتاب شرح الجامى في العربية وبندنامه عطار في الفارسية، وحين قرب وقت الامتحان للصف الخامس أن غضب والدي على الشيخ حسين وغادر الوظيفة ورجع إلى پاك فتن واضطرت للرجوع أيضا وهكذا انقطعت دراستي على الشيخ نور أحمد ولكن بقي الشوق إليه. فهناك مثل فارسي أنه إذا هناك شوق في قلب رجل لا يحتاج إلى مرشد طريق بل يكون هو المرشد. وهكذا كان حالى فكنت أبحث عن استاذ وتوصلت إليه وأقرء عليه كتب الدرس 'منهج نظامي' فإلى الجماعة التاسعة قد انتهيت من جميع كتب الفنون وجاءت مرحلة الاختبار للجماعة العاشرة فأكببت عليه وانقطعت سلسلة دراسة العربية مرة أخرى.

وقد كنت التحقت بثانوية إسلامية للدراسات العالية بعد الانتهاء من اختبار الخامسة والنجاح فيها. وهناك لقيت الأستاذ نصير الدين همايوں في زمن السادسة أو السابعة وكان يعلمنا التاريخ. ولقاءه كان له أهمية كبيرة فإنه بطريقه قد تعرفت على الشيخ المودودي إسمه ومآثره. وقرأت كل كتابات الشيخ المودودي التي أخذتها منه، وكان هذا دنيا جديدة للعلم والعمل. ثم تم الحفل السنوي للجمعية الطلبة الإسلامية (التابعة للجماعة الإسلامية) في داؤد غاردن داروغه والا. ونحن عدة من الإخوان والأصدقاء اصطحبنا للاستاذ همايوں من الثانوية الاسلامية للإشتراك بهذا الحفل وذهبنا إلى لاهور. ورأيت الشيخ المودودي لأول مرة في هذا الحفل فما أروع شخصية وأعظمها! كأن الخالق المبدع قد استفرغ كل جمال الفطرة في صياغة هذه الشخصية. ثم سنحت لى فرص الالتقاء به والاقتران مدة. وقل رجال يتزامنون معه في العلم والعمل وحسن السيرة والسلوك والبصيرة والتفكير والجرأة والعزيمة. وليس ذاك انطباعي فقط بل يشهد لذلك كل من رأه، لقيه، كلمه وعمل معه أنه كان سعيداً به، وقال الشاعر الفارسي ما مفهومه:

لست أنا الواحد أثني عليه
بل هناك كثير من العنادل يتغنون بمدحه من كل جانب.

ولما دخل عام الصف العاشر ازددت شغفا بدراسة كتب الفلسفة والتصوف والأدب والتاريخ تاثراً بصحبة الوالد وبصحبة الملاقين له، فإذا عثرت على كتاب في أي موضوع من تلك الموضوعات لم أسكن بدون ختم دراسته. وكان لي وقت لذلك، نعم اشتغالات المدرسة كانت تصدني عنه إلى حد، ثم اخذت اتفكر في الخروج عن هذه المضيق فتجاسرت ذات يوم على الالتماس من عميد مدرستنا السيد شير محمد أن يستثني من حضور الدروس في الصف لأني أريد أن أطالع الكتب بكامل التوجه وكل الانهماك. وإذا خصصت لي حجرة في دار الإقامة لم تيئاس مني في نتائج الصف العاشر أيضا إن شاء الله تعالى. وكان السيد شير محمد معلما غير عادي، فاستجاب لطلبي، واحتار اليوم كيف استجاب. فإنه توقف ثواني عديدة ثم قال لا تزلزل اعتمادي عليك وثقتي بك؟ فجعلته مطمئناً فقد قام بتوفير تلك السهولة في اليوم المقبل بل زادني تفضلا أن أجازني لإعارة الكتب التي انتخب من مكتبة المدرسة إلى حجرتي المختصة. ومع أنه لم تكن زاوية نضرة ولكن أتيح لي كل فرصة الفراغ والكتاب. ومازلت مقيما حتى اختبارات الصف العاشر في تلك الحجرة. وإذ ما تذكرت تلك الأيام ذكرت الأستاد السيد. وإن أريد أن أصور شخصه لا اتمكن من ذلك فمن أين أجلب أستاذا ومعلما مثله أن أشبه به وأمثل له:

أنت يا أستاذ مجموعة الكمالات بأي اسم أدعوك؟

وبعد الجماعة العاشرة التحقت بالكلية الرسمية بلاهور واخترت الفلسفة والأدب الإنجليزي وبعد البكالوريا اخترت في الماجستر أيضا الأدب الإنجليزي، والكلية الحكومية كانت آنذاك مجرة لنجوم زاهرة للعلم والأدب أمثال البروفسور مرزا منور، صابر لودهى، غلام الثقلين رضوى، ملك بشير الرحمن، الأستاذ سراج، الأستاذ سعيد شيخ، الأستاذ بختيار حسين الصديقى والدكتور محمد أجمل ولِطلاب العلم الفرصة متاحة لصحبتهم، والبروفيسور أشفاق علي خاں كان مديراً للكلية آنذاك. ومكتبة ثرية للكلية كانت متاحة وميسرة للراغبين والطالبين كما أن المكتبات الأخرى من مثل مكتبة جامعة بنجاب ومكتبة

بنجاب العامة أيضا ليست ببعيدة. ومدينة لاهور هي نفسها كانت في ذلك الزمان دنيا العلم ومركز الثقافة فكان هناك أساطين العلم والأدب من أمثال الشيخ أبى الأعلى المودودي، وأبي الخير المودودي وحنيف الندوى، والشيخ إدريس الكاندهلوي، وعطاء الله حنيف البوجياني، والدكتور الصوفي ضياء الحق والدكتور السيد عبد الله، والدكتور برهان أحمد الفاروقي وعلم الدين سالك والبروفسور يوسف سليم الجشتى، وفيض أحمد فيض، وشورش الكاشميرى، وحفيظ الجالندهرى وعابد على عابد وإحسان دانش وأحمد نديم القاسمي وآخرين. وكان الإنسان يستطيع أن يزورهم إذا شاء ويستفيد بهم.

وكان البعض منهم يستجيبون إذا طلب أحد منهم التلمذ عليه، وعليه فالتمست من الدكتور الصوفي ضياء الحق فأقرأني "المقامات" لبديع الزمان الهمذاني، والشيخ عطاء الله حنيف الفوجياني قد درّسني جزءاً من سنن الدارمي. وكان الشيخ عالما جليلاً منتميا إلى أهل الحديث كما أن الدكتور ضياء الحق كان عالما جيداً ومحققاً كبيراً للغة العربية وآدابها. وكان والده المولانا اصغر علي الروحي تلميذاً رشيدا لأديب الهند وشارح "الحماسة" والمعلقات السبع وأستاذ شبلي والفراهي الشيخ فيض الحسن السهارنفوري فكان أميناً لتلك الرواية للغة والأدب.

وظللت أتعلم في الكلية الرسمية لخمس سنوات على أقل حد. وكان من عادتي أن أخرج من البيت صباحاً وأشارك في دروس الكلية ثم أجلس في أية مكتبة إلى المساء وأصل في خدمة هؤلاء الرجال من هنالك وأصحبهم. وفي فيروز سنز ويونائتيد پبلشرز كان هناك توفيراً أن الزائر يقرء الكتب الجديدة إلى متى شاء ،وعمال الدكان كانوا لايتدخلون في ذلك. فكنت أزور هذين الدكانين واتصفح الكتب لساعات وساعات.

وفي ذلك الزمان وضعت خططا لكتابة بعض الكتب وكتبت بعض الأشياء ولكن بقي معظمها خطط قرطاسية. وكنت ميالا لقرض الشعر منذ صبائي، فقرضت الشعر في ذلك الزمان أيضا والبعض منه قد طبع في الأعداد لمجلة

انجليزية Pakistan Review لسنوات فيما بين ١٩٦٨ و١٩٦٩ وتم إشاعة بعضها في المجلات الأخرى. ولكن كان أكثر اهتمامي إلى الدراسة والقرأة. فأيام الكلية قد مضت في هذا العيش وكانت كما قال الشاعر الفارسي ما مفهومه:

أياما خصبة كانت عشتها مع صديق

أما ما بقي

فكانت أياما عقيمة لا طائل تحتها

وبعد النجاح في امتحان العام الأول لماجستير كنت في السنة الأخيرة له أن صادفت بالاطلاع على بعض كتابات الإمام حميد الدين الفراهي والإلمام بها. وكان هذا عالـما جديدا للعلم والنظر والفهم والبصيرة، وباعثا على الاستعجاب، ينفتح على المرء إذا قلب تلك الأوراق. وفي مقدمة بعضها كان هناك ذكر لتلميذ رشيد للإمام الفراهي الشيخ امين احسن الإصلاحى وأغلب ظني أن العبارة عنه كانت: "ثاني اثنين إذهما يتاّدبان بآداب الإمام الفراهي" وذكره حفزني حفزا شديدا على أن التقي بالمولانا.

وأخبرني صديق لي في جمعية الطلبة الإسلامية أنه مقيم في قرية بعيدة من لاهور وكنت على علم بأن الدكتور أسرار أحمد له أيضا علاقة بالشيخ. وكان الدكتور في تلك الأونة يسكن في حي من أحياء كرشن نغر وله مستوصف فيه. فانطلقت من المكتبة ووصلت إلى بيته سائلاً عنه، وكان الدكتور يتحدث إلى أصدقاءه في الحجرة العقبة لمطبه فسألته عن المولانا فقال إنه من حسن حظك أنه قد جاء اليوم من قريته رحمان آباد وهو مقيم الآن عند ختنه نعمان علي في مستعمرة 'وافدا'. وكانت عندي دراجة ففهمت العنوان ثم خرجت ولما بلغت هناك دخل وقت المغرب، فلما استفسرت عنه من شخص ذاهب فى الطريق دلني عليه بإشارة إلى الأمام أنه هوذا. وكان المولانا يخرج إلى الصلاة فتقدمت وسلمت عليه وكان ذلك أول لقائي بالأستاذ الإمام. وظل المولانا مقيما بلاهور لأسبوعين على الأغلب، وتعودت على زيارته كل يوم ثم رجعت بعد ما سِرت سيرا في عالم جديد. وعن طريق هذه اللقاءات بالاستاذ الإمام انشرح صدري أن الدين ليس

فقط اعتقادا جامدا محضا، إنه شيئ يدرك كله ويعقل كله. واتضح لي أن القرآن قول فصل وميزان لكل شيئ يتصل بالدين والشرع، وحجة الله على العالمين فلنا أن نحاكم الحديث والفقه والفلسفة والتصوف والتاريخ والسير وكل شيئ آخر في ميزانه.

فهذا كان اكتشاف لقرآن جديد، فطلبت منه اني أريد أن أدرس القرآن عبرَ طريقكم. فسئالته مخبراً عن بعض الخلفية لتعليمى أن ماذا علىّ أن افعله لذلك؟

فوضع لي فهرساً طويلاً لأمهات كتب في مختلف العلوم والفنون يحتاج إلى بذل أعوام عديدة لدراستها وفهمها وهضمها هضما جيداً، ثم قال لي:

"إن انت تريد أن تقرأ على طريقتنا هذه يتطلب ذلك أن تنعزل وتعتكف للعلم والنظر والتفكر والتدبر مخليا ذهنك عن سائر فكرات القيادة. فعليك أن تقطع انك تقوم على الحق وإن هجرك ظلك. فلا يدخل شخص ما بدون هذا العزم القوى والإرادة الجازمة في مدرستنا."

وكان ذلك آخر يوم من قيامه هناك فإنه كان عازما إلى قريته في اليوم الثانى. فتفكرت كثيرا واستعرضت ما يقول القلب والعقل وقدرت النتائج والعواقب واعتزمت يومذاک أن أغادر الكلية غدا وأدخل في مدرسة علمية للشيخ ولم آل جهداً في تحصيل علم يتطلبه.

وهكذا ابتدأ الدور الثاني من طلبي وذلك في مساء من سنة ١٩٧٣. واستمرت هذه السلسلة فيما بعد إلى عشر سنين على أقل حد. وفي هذا الأثناء أقرئني الشيخ بنفسه مثلاً القرآن الكريم من سورة الزخرف إلى آخر المصحف والمؤطا للإمام مالك في الحديث ومبادئ التدبر في القرآن والحديث وبعض المباحث للفلسفة الجديدة. فقرأت هذا كله عليه ووفق منهاجه هو.

وكان المولانا يقول أن في هذا الزمان كثر أناس يقرأون قليلا ويكتبون كثيرا، وكان يقول يجب أن يكتب شخص ما حينما تظهر له وجهة جديدة. وعليه فقلما اجترأت على الكتابة في أيام الطلب هذه الأخرى. وقد كنت أقرض الشعر ولم أرغب رغبة كبيرة إلى كتابة النثر وبالرغم من ذلك فقد كتبت أشياء بالاردية

والعربية ولكن كانت كلها إنتاج كاتب بدائي.

وفي سنة ١٩٨٢م للميلاد لما انتهت مرحلة التعليم هذه قد تغلغل اضطراب في اعتقاداتي وتضعضع كل شئ من أساسه. وكان كل من الفقه وأصول الفقه، والتصوف وعلم الكلام يفتقد أسسها في القرآن الكريم وما هو التفسير الصحيح للدين؟ فإن كافة الإجابات لهذه التساءلات معرضة للشك والارتياب. وقد انهدم قصر تصوراتي ،والتشكيل الجديد يتطلب نظما جديداً فمضت سبع سنين القادمة في هذا النظم. ولم أعرف كم قطعت من واد في هذه المدة، وكم من طريق قطعته وكم من منعطف ذهبته وكم من حجر قلبته وأينما أروت نفطات القدم غليل الأشواك.

وكان سفرا عجيبا يتخلله منزل فمنزل ولا علم بى ماذا سيحدث قدما. ولعل الفيضي قال معبراً عن حالة كهذه، ما مفهومه:

ليس هناك من يخبرنى. ما ذا حدث للمنزل الأول فإني قطعت مآة واد يباب وأمامى واد آخر.

أما ما كتبت في ذلك الزمان فتحت حاجة ماسة. لأن ما حدث لمركز أفكاري من حالة *"نحت وسجدت وكسرت"* لم يبق مكانا وسعة من القول للآخرين. ومضت هذه المرحلة هكذا، حتى تمهدت الارض في ١٩٩٠ للميلاد حيث أمكن تأسيس بناء جديد. وكدت اكتمل الأربعين من سني وقد جاء الوضوح فى الفكر والنظر إلى حد كبير كما قد اتضحت لي خريطة العمل أيضا وعليه فوضعت مشروعاً للكتابة والتاليف وبدأت العمل وفقاً له. وقد مضى علي ١٧ عاما منذ ذلك ومازلت أعمل عليه. وقد تم العمل الكثير وبقى الكثير منه وسوف يتم إن رافقني التوفيق من الله عزوجل. وقبل أيام عديدة حين انتهيت من كتابي "ميزان" خيل إلىّ أن أقص هذه القصة بهذه المناسبة.

وانطلاقا منه أبين هنا مشروعا مطروحا لي لعملي التاليفى. فهي كتابات بعضها تمت وبعضها تحت التاليف.

١. البيان، ترجمة و تفسير للقرآن الكريم

٢. ميزان، بيان للإسلام كما فهمته

٣. برهان، خاص بتنقيح المباحث التي اختلفت فيها وجهة نظري عن العلماء الآخرين.

٤. مقامات، أردت أن أجمع فيه منتخبات مما قد كتبت أو ما عزمت بالكتابة عليها.

٥. الإسلام، ملخص "الميزان"

٦. علم النبي

٧. فقه النبي

٨. سيرة النبي

وهذه الثلاث المؤخر ذكرها أريد تاليفها في جمع الأحاديث والآثار وتدوينها ولتنقيح متونها.

٩. خيال وخامه، ما زلت اقرض الشعر فهذه مجموعة/ ديوان شعري

وقد تم طبع 'برهان' و'مقامات' و'خيال وخامه' ولكني أضيف إليها المنظومات والمقالات. و'ميزان' أرجو أن يخرج في نهاية هذا العام. أما 'البيان' فقد بلغت فيه إلى سورة النساء. فإذا فرغت منه سأقف ما بقي من العمر في خدمة الحديث النبوي إن شاء الله. فإن اتمنى الحياة اتمناها فقط لذلك العمل. وإذا قُبل تصرف أبي الكلام آزاد فهذا الشعر لزماني يزدي هو يترجم لحالتي بكل معنى الكلمة ما مفهومه:

وإنى وإن أقص قصة ذاك الحبيب اللبيب
لست إلا أطيل عمري فى ذالك الحكاية اللذيذة

(٢٠٠٧م)

(للحديث صلة)

ميزان

جاويد أحمد غامدي

ميزان

(الحلقة الثانية)

مبادئ تدبر القرآن

وخذ أولاً تلك المبادئ التي يجب أن تُلاحظ للتدبر في القرآن الكريم.

اللغة العربية العالية: وأول شيئ من ذلك أن اللسان الذي نزل فيه القرآن هو العربي المعلىٰ لأم القرىٰ، الذي كان ينطق به قبيلة قريش في زمن الجاهلية. ومما لامرية فيه أن الله تعالىٰ قد جعله معجزة خالدة للفصاحة والبلاغة. وأنه في الحقيقة لغة كان ينطق بها رسول الله وكان ينطق بها أهل مكة في ذلك الزمان. فقال جل وعلا:

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (مريم: ٩٧)

ولذا فإن الفهم الصحيح لهذا الكتاب متوقف على العلم الصحيح لهذه اللغة وذوقها السليم، ولابد للتدبر في هذا الكتاب ولشرحه وتفسيره أن الإنسان يكون عالماً جيدا بهذه اللغة وأن يتذوق أساليبها تذوقاً أن لايحول لسانه في طريقه للوصول إلى فهم مدلول القرآن على أقل حد.

ولا تحتاج هذه الحقيقة إلى شرح مزيد على ذلك، ولكن ليفهم كل طالب له فهماً كاملاً أنها ليست عربية كتبها الحريري والمتنبي والزمخشري والرازي، أو التي تذاع في جرائد مصر وسوريا في هذا الزمان ويكتبها أدباءهما وشعراءهما.

نعم هذه أيضا لغة عربية. ولكن العربية التي نزل بها القرآن والتي ينبغي تسميتها بالعربية العالية بجدارة. هناك فرق كبير في لهجات وأساليب البيان والألفاظ والمحاورات لتلك اللغة ولهذه اللغة. وهو فرق كمثل فرق وقع في لغة أردية لمير[1] وغالب[2] ولفارسية لسعدي[3] وخيام[4] على الأقل وبين لغة أردية وفارسية يكتبها الجرائد والصحف الهندية والإيرانية في زماننا هذا المعاصر.

فمن الحقيقة أن لغة الجرائد هذه لاتولد ذوقاً سليماً للسان القرآن، بل على عكس من ذلك إنها تجعل المرء غافلا عنه تماما وإذا كانت هي تتغلب عليه فربما تحرم الإنسان من فهم القرآن تماماً. فأول شيئ يجب الرجوع إليه للغة القرآن هو القرآن نفسه. فلا يجحد شخص عن القرآن أنه إذا نزل بأم القرىٰ فمع أن مكانته الإلهامية صارت محلا للنزاع والنقاش لمدة بلاشك، ولكن لم يمكن لشخص أن يتحدى عربيته أبداً. وقال إنه ليس كلاماً أعجميا واستدل له لأنه نزل بلسان عربي مبين. إنه قرر نفسه معجزة للغة والأدب والفصاحة والبلاغة وتحدى قريشاً أن ياتوا بسورة من مثله، حتى أعلن أن يدعوا لذلك ممن أرادوا من الأدباء والشعراء والخطباء والكهنة وليس فقط الإنسان بل يدعوا من يشاؤا من الجنات والشياطين والآلهة معهم. فمن الحقيقة التي لاتجحد أنه لم يتمكن أحد من العرب من جحود عربيته كما لم يمكن لشخص أن يستجيب لتحديه أبداً. كما قال تعالىٰ:

وَاِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلٰى عَبْدِنَا فَاْتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهٖ ۪ وَادْعُوْا شُهَدَآءَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ. (البقرة: ٢٣)

وقال في موضع آخر:

قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰٓى اَنْ يَّاْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَاْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا. (الإسراء: ٨٨)

---

[1] ميرتقي مير هو أكبر شعراء اللغة الاردية الكلاسيك.

[2] غالب، أسد الله خان هو ثاني أكبر شعراء اللغة الاردية الكلاسيك.

[3] سعدي أحد شعراء الأخلاقيين للفارسية.

[4] خيام هو من كبارالشعراء الفارسية عرف بمربّعاته الشعرية.

وليس فقط ذلك بل حينما سمعه نقاد كبير للأدب في أم القرىٰ كمثل وليد بن مغيرة فلم يلبث إلا أن قال:

والله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيره مني، ولا بأشعار الجن، والله مايشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله ان لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلوا ولا يُعلىٰ، وإنه ليحطم ماتحته. (السيرة النبوية لإبن كثير ٤٩٩/١)

وكان لبيد من شعراء السبع المعلقات حياً آنذاك، وقد أسلم. وهو شاعر سجد لشعر له[٥] شاعر كبير مثل فرزدق، فقد أصيب بذهول أمام القرآن لدرجة أن قال حينما التمس منه عمر رضي الله عنه بقول الشعر:

"ما كنت لأقول شعراً بعد أن علمني الله البقرة وآل عمران[٦]"

وهذا ما كان اعتراف رجل واحد فقط بل إنه يعني أن فصاحة العرب وبلاغته سجدت للقرآن وخضعت له. ثم إنه من الحقيقة أن هذه المعجزة للسانية قد انتقلت إلينا لفظا بغير أدنىٰ تغير ودون تبديل في أي حرف. ولذا فهذه الحقيقة ثابتة مسلمة اليوم أن القرآن ليس فقط حجة الله للدين في هذه الأرض بل إنه قول فصل للغة عصر نزوله وبرهان قاطع له. ويوجد هذا اللسان بعد القرآن في الحديث النبوي وذخائر آثار الصحابة. ولا شبهة أن جزءاً قليلا من هذه الذخائر يُقدم كسند وحجة في صدد تحقيق اللغة بسبب الرواية بالمعنى ولكن هذه البقية الباقية أيضاً متاع قيم ثمين لأصحاب الذوق، فإنها لغة أفصح العرب والعجم ولسان الصحابة الأفصحين الأقحاح. وهو مثل أعلى اعتباراً بالألفاظه ومحاوراته ومن حيث أساليب بيانه للسان عربي مبين نزل فيه القرآن.

وفي أدعية النبي صلى الله عليه وسلم وأمثاله ومكالماته وحديثه مع الصحابة، بما أن هناك اهتمام للرواية باللفظ في عامة الأحوال ولذا توجد نظائر تلك اللغة

---

[٥] والشعر هو هذا:

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

[٦] الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٢٣٧/٣.

أكثر من كل شيئ في روايتهم. فإن شاء طالبوا القرآن أن يغوصوا في بحار ذاخرة للآثار يستجمعون الكثير من اللآلي الثمينة منها وسيجدون نصرةً كبيرة في حل المشكلات اللفظية والمعنوية للقرآن من هذه الذخيرة للآثار والأحاديث.

وبعد ذلک إن كلام العرب هو مأخذ كبير لهذه اللغة، وهو شعر الشعراء من أمثال إمرء القيس وزهير وعمرو وكلثوم ولبيد ونابغة وطرفة وعنترة والأعشىٰ والحارث بن حلزة وكلام الخطباء من مثل قيس بن ساعدة الأيادي. ويعرف أهل العلم أن معظم كلام العرب يوجد في دواوين الشعراء وجامعي كلام العرب من أمثال الأصمعيات[٧] المفضليات[٨]، الحماسة[٩]، السبع المعلقات[١٠]وكتب الجاحظ والمبرد وأمثالها من أهل الأدب[١١]. ولقد نشرت في زماننا هذا الكثير من دواوين شعراء الجاهلية لم توجد ولم تظهر قبل اليوم. ومما لامرية فيه أن معظم لغات العرب قد تم نقلها بإجماع أهل اللغة وتواترهم واحتفظت ذخيرتها الكبيرة الثراء في أمهات اللغة من مثل التهذيب[١٢]، المحكم[١٣]، الصحاح[١٤]، الجمهرة[١٥] والنهاية[١٦]

---

[٧] الأصمعيات لأبي سعيد عبد الملک بن قريب الأصمعي.

[٨] المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلىٰ بن عامر بن سالم الضبي.

[٩] الحماسة لأبي تمام لبيب بن أوس الطائي.

[١٠] وهي مجموعة للقصائد السبعة المنتخبة للعربية.

[١١] مثلاً البيان والتبيين للجاحظ والكامل في اللغة والأدب للمبرد، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد ومختارات شعراء العرب للابن الشجري، والفحول لأبي تمام وحماسات للبحتري والخالديان ولإبن الشجري ولأبي هلال العسكري وديوان المعاني لأبي هلال من هذا النوع.

[١٢] التهذيب في اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري.

[١٣] المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن سيده.

[١٤] تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر اسماعيل الجوهري.

[١٥] الجمهرة في اللغة، لأبي بكر محمد بن دريد الازدي.

[١٦] النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارک ابن محمد الجزري ابن الأثير

وغيرها. ولكن إنه أيضاً حقيقة أن كلام العرب هذا هو المصدر المتعمد عليه للبحث والتحقيق في ذخيرة لغة العرب التي لم تواترت مثل ذلك. نعم هناك كلام منحول أيضاً. ولكن كما أن العلماء الناقدين للحديث يمكن لهم تمييز صحيحه من سقيمه يتمكن كذلك ناقدوا كلام العرب من تمييز خالصه من منحوله على المعايير الواضحة للرواية والدراية. ولذلك قد أجمع علماء الأدب واللغة دائما أن كلام العرب يعتمد عليه بعد كلام الله والذي يقوم كحجة وسند في تحقيق اللغة بناءً على صحة النقل والرواية باللفظ. يقول في ذلك صاحب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب عبد القادر بن عمر البغدادي:

"الكلام الذي يستشهد به نوعان: شعر وغيره فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع: الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون وهم قبل الإسلام كامرء القيس والأعشى، والثانية: المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان، والثالثة: المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير وفرزدق، والرابعة: المؤلدون ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نواس، فالطبقان الأوليان يُستشهد بشعرهما إجماعاً." (خزانة الأدب ٣/١)

وقد قال هذا القول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب المسلمين من على منبره:

"يا أيها الناس، عليكم بديوانكم، شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم". (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١٠/١٠)

وقال ابن عباس رضي الله عنه عالم جليل الشان بعلم الدين في الصحابة:

"إذا خفي عليكم شيئ من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب."

(المستدرک للحاكم، رقم: ٣٨٤٥)

وليلاحظ هنا أن كلام أهل الجاهلية هذا ليس فقط مأخذ اللغة وأساليب اللغة بل إنه مع ذلك مأخذ أيضا لثقافة العرب وحضارته التي إذا لم يتواجد تصوره الصحيح في الذهن سيصعب فهم أساليب الإشارة والتلميح والتعريض

والكناية التي هي رأس مأل البلاغة في روائع الأدب هذه.

فما هي الخصائص الأساسية لمعاشرة واجتماع العرب؟ وما هي الأشياء التي يرونها معروفا أو منكراً؟ وما هي معايير الخير والشر في اجتماعيتهم؟ وما هي نوعية ديانتهم وآدابهم وتقاليدهم؟ وما هي الأسس التي قامت عليها ثقافتهم وتشكل بها اجتماعهم؟ وما هي نظراتهم السياسية وشغلهم الشاغل ليلاً ونهارا؟ فهل كانوا قطيعاً للبهائم رفعهم الإسلام وأوصلهم إلى منصب قيادة العالم؟ أوهم مع كل وحشتهم قوم يحمل خصائص وأوصافا قد مُنِحوا الكتاب مثل القرآن بناءاً عليها، وفازوا بمكانة شهادة الحق للعالم كله من الله سبحانه وتعالى؟ هذه تساولات ياتي جوابها الصحيح من هذا الكتاب. وهذا الجواب في ضوءه تتوضح إشارات القرآن وتلميحاته وتعريضاته وكناياته في جماله الأدبي الرائع وفي كمال معنويته الخالدة على طالبيه ومحققيه.

ولذا ليس فقط في أمر اللغة بل لكل هذه الأمور المذكورة فليراجع طالبوا القرآن إلى كلام العرب.

إبانة اللغة

والأمر الثاني أن القرآن لم ينزل في اللسان العربي فقط بل في لسان عربي مبين. أي في لغة مبينة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد. كل لفظتها واضحة وكل أسلوبها مأنوس لمخاطبيه، كمال قال تعالىٰ:

نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْاَمِيْنُ، عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْنَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِيْنٍ.

(الشعراء: ١٩٣-١٩٥)

وقال: قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِيْ عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ. (الزمر: ٢٨)

فهذه حقيقة واضحة للقرآن. إذا سلمت بها فعليك أن تسلم كنتيجة لازمة لذلك أن أية لفظة للقرآن وأي أسلوب له لم يكن شاذا في مفهومه ومعناه، لأنه نزل في ألفاظ وأساليب معروفة متداولة لمخاطبيه. فليست فيه أية غرابة لغوية من أي نوع كانت. بل كل شيئ فيه واضح معروف. ولذا من اللازم رعاية معاني معروفة ومدلولات غير منكرة في ترجمة معانيه وتفسير مفاهيمه في كل مكان

ولايقبل أي تأويل دون ذلک. ولذا فالنجم في "والنجم والشجر يسجدان"[١٧]لم يكن إلا في معنى النجم و"تمنى" في "إلا إذا تمنى"[١٨]تعطي معنى الإرادة والأمنية والإبل في "أفلا ينظرون إلى الإبل"[١٩]قد جاء في معنى الإبل والجِمال و"البيض" في "بيض مكنون"[٢٠]ليس إلا في معنى البيض. وانحر في "فصل لربک وانحر"[٢١] تعطي معنى الأضحية والقربان فقط. فلا يراد بها 'الأعشاب'، و"التلاوة"، و"السحاب" و"الغشاء المكن للبيضة" و"وضع الذراعين على الصدر".

وعلاوة على الألفاظ تُعامل مع وجوه الإعراب وأساليب البلاغة أيضا نفس المعاملة، إن علماء البلاغة والنحو قد جعلوا أشياء كثيرة فيما يتعلق بهذه الفنون من الشواذ والمستثنيات. ولكن الحق أن ذلک ناشيئ من قلة التتبع والبحث فقط، ففي عصرنا هذا إن العمل الذي تم على أيدي أكابر مدرسة الفراهي: الإمام حميد الدين الفراهي والأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحي على لغة القرآن اتضحت منه هذه الحقيقة أن أسلوب القرآن في هذه الأمور هو أسلوب العرب المعروف لاغير. فطالبوا القرآن الذين يتذوقون بهذه المباحث يمكن لهم العثور على كثير من الإرشادات في ذلک في "مفردات القرآن" و"أساليب القرآن" و"جمهرة البلاغة" للإمام الفراهي وفي "مجموعة التفاسير" له وفي "تدبر القرآن" للأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحى. فإن رعاية هذا الأصل في تفسير القرآن يتقاضاها إبانته. وإبانته كما مر آنفا ثابتة بنص القرآن. وعليه فلا يصح شرح وتفسير للقرآن بغض النظر منها.

ندرة الأسلوب

والشيئ الثالث أن أسلوب القرآن هوأسلوب منفرد، فإنه يحمل سزاجة النثر

---

[١٧] الرحمٰن: ٦

[١٨] الحج:٥٢

[١٩] الغاشية: ١٧

[٢٠] الصافات: ٤٩

[٢١] الكوثر: ٢

وربطه وسلاسته وتسلسله. ومع ذلك لايقال له نثر، كما أنه يحمل غناء النظم وموسيقاه وحسن تناسبه ولكنه لايقال له نظم أيضا. ولا هو كتاب كمثل كتابات نحن واقفون عليها، والتي يبحث فيها عن موضوع أو موضوعات تحت أبواب وفصول. وأهل العرب كانوا أحيانا يقولون إنه شعر وأحياناً يشبهونه بسجع الكهان. ولكن ترددهم هذا ينم عن عدم اطمئنانهم هم في مقولتهم هذه. والواقع أن القرآن كتاب فذ فريد باعتبار أسلوبه. يحمل سلاسة الأنهار وشدة البحار وندرة حسن الاستدلال، وطراز ربط المعنى. أمثلة وقصص ورجوع الكلام إلى مركزه مرات ومرات، وأساليب متنوعة للتهديد والزجر والعتاب. والأسف والحسرة، شدة اليقين مع صور الإعراض والإنكار. ففيه كيف على مواقع العجب والالتفات ،تصوره شاعر فارسي بقوله "ما هذا الذي يقع على صدري كالندىٰ، وفيه مشهد على مواقع الغضب عبر به الشاعر كأنه طوفان تنبض منها وتقشعر قلوب الأنهار".

وفيه تصرفات عجيبة للخطاب أن المرء يفقد نفسه فيه. ولهذه الخصائص الأسلوبية يقول عنه:

لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَّرَاَيْتَهٗ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ؕ وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ. (الحشر:٢١)

ولكن من أي أصناف الكلام هو؟ كل ما يمكن أن يقال في ذلك أنه يشبه كلام الخطباء. ولاشك أن هذه المشابهة هي فقط إلى حد التشابه لاغير. فلايمكن أن يطلق عليه وصف الكلام الخطابي على الإطلاق، لكنه متقارب له ولذا يطلب من دارسيه وطالبيه أشياء تالية:

١- تبذل الجهود في سبيل فهم القرآن لتفهم ما حوله من ملابسات وخلفيات وحالات نزلت فيها سورة من القرآن ولاتحتاج لذلك إلى شيئ خارج من القرآن. بل هذه الأشياء سوف تتوضح في ضوء القرآن نفسه. فإذا تدبر أحد في القرآن وعكف على كل لفظ له ويحاول فهم هيكل الجمل والأساس الذي تقوم عليه الكلمات يظهر له مواقع الكلام للسورة بتمامها مظهراً تاما وتدل على وجودها دلالة لاتحتاج إلى دليل آخر معها. يقول الأستاذ الإمام:

"الطريقة الصحيحة إنما هي أن تحاول لفهم خلفية القرآن من اشاراته هو. فإذا عرفت مَن الذين يخطبهم الكلام. ولأي من المخاطبين خطابه مباشراً ولمن هو غير مباشر. وبأية مرحلة يمر بها المخاطب. وما هي السؤالات التي أثارتها تلك المرحلة، تنتظر جوابها الأصدقاء والأعداء وأية نوعية اختارتها معاداة الأعداء وفي أية حالة الأصدقاء. وما هي الأحزاب في صفوف الأعداء وما هي وسائلها وسلاحها وفي أي طراز تتفكر جماعات مختلفة للموافقين، ينكشف لک نظام الكلام كله تلقائياً. فإن هذا كله يتكلم من داخل فحوى الكلام نفسه. فإذا سعدت جهودک بتعيين هذه الأشياء ينكشف لک نظم الكلام بنفسه ويتأثر القلب بقرأة سورة من القرآن تأثره بالإستماع إلى خطبة مناسبة لخطيب مصقع". (مبادي تدبر القرآن، ص ٢١٠)

وثانياً أن يُعين وجهة خطابه في كل مكان، ففي القرآن يختلف توجيه الخطاب في الوقفات القليلة بل في الآية الواحدة أحياناً مرات. فالآن كان المسلمون مخاطبين إذ صار توجيه الخطاب إلى المشركين. والآن كان أهل الكتاب مخاطبين أن فأجأ الخطاب المسلمين. ويكون هذا التغير في صيغتي الواحد والجمع. ثم إن هذه المسئلة لم تكن في منتهى الخطاب بل في صدره أيضاً. فالآن كان الله عزوجل يتكلم أن بدأ جبرئيل يتكلم. وكان جبرئيل يتكلم إذ جرى الخطاب على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكما أن الخطيب لايزال يغير مخاطبيه أثناء الخطاب من طريق تغيير لهجته وأسلوبه ومن دوران العيون والجواجب ومن طريق نبرات الكلام، يتغير الخطاب في القرآن الكريم أيضاً في لحظة وآن. فلابد من إعطاء أهمية كبيرة لذلک في تفسير القرآن ومن بذل الجهود لتعيين مصدر الخطاب هل هو مثلاً الله سبحانه أو جبريل أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو الناس، ويُعين منتهى الخطاب كذلک مثلاً هل هو الله سبحانه أو جبريل أو الرسول أو الناس. ثم ليوضح في كون الناس هل هم مسلمون أو منافقون أو اليهود والنصارىٰ أو المشركون من بني إسماعيل أو اثنان منهم أو الثلاثة أو الكل، ثم يكون هناک مواقع الالتباس بأن تخاطب الأمة عن طريق خطاب النبي صلى

الله عليه وسلم، أو يكون الخطاب بظاهر الحال إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يراد توجيه الخطاب إلى رؤساء قريش أو إلى اليهود والنصارىٰ. ففي القرآن أمثلة كثيرة لذلك هنا وهناك. ولذا من اللازم أن يكون هناك تمييز بحيطة كاملة في ذلك، ويُعين توجيه الخطاب في واقع الأمر، لأنه بدونه لايتوضح مضمون القرآن بطريقة صحيحة.

الثالث أن يميز بين عامه وخاصه، فإن القرآن ينهج نهجا في مواضع كثيرة أن يستخدم ألفاظا عامة بظاهرها ولكن سياقها وسباقها يدلان دلالة قطعية أنه لم يرد بها حكما عاماً، فمثلاً القرآن يستعمل كلمة الناس ولكن لم يرد بها أحيانا العرب كلهم فضلاً عن سائر العالم. وهو يستخدم تعبير "على الدين كله "ولكنه لم يرد به أديان العالم كلها. ويستعمل لفظة 'المشركون' ولم يرد بها المشركين أجمعين. ويأتي بألفاظ ''وإن من أهل الكتاب'' ولكنه لم يرد بها سائر أهل الكتاب في العالم كله، كما يستخدم كلمة ''الإنسان'' ولم يرد بها سائر أولاد بني آدم كذلك. فهذا هو أسلوب عام للقرآن إذا لم يُراعىٰ يبطل مراد المتكلم في تفسير القرآن من أساسه. ويصل الكلام إلى مالم يقصده المتكلم، ولذا لابد في ذلك من إبقاء حكومة عرف القرآن وسياقه وسباقه على ألفاظه على كل حال.

(يُتبع)

تفهيم الآثار

الدكتور عمار خان ناصر

إكرام أهل البيت الكرام وتبجيلهم

[آثار التابعين وأتباع التابعين]

(الحلقة السادسة)

(٣)

عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: "الَّذِي يُحَافِظُ عَلَى أَزْوَاجِي الصَّادِقُ الْبَارُّ"، فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُسَافِرُ بِهِنَّ، وَيُنْزِلُهُنَّ الشِّعبَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَنْفَذٌ، وَيَجْعَلُ عَلَى هَوَادِجِهِنَّ الطَّيَالِسَةَ.

(الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد، رقم ٨٩١٧)

شرح المفردات

هَوَادِج: هو جمع لكلمة 'هودج' وهو المحمل أو المركب الذي تركبها النساء

الطَّيَالِسَةَ: هو جمع لكلمة 'طيلسان' يعني الأقمشة الخضراء.

شرح الحديث

هذا الاهتمام الخاص للحجاب كان تبعاً لتوجيه سورة الأحزاب التي أوجبت على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الالتزام بالحجاب. قال تعالى:

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِنْ وَّرَآءِ حِجَابٍ ؕ ذٰلِكُمْ اَطْهَرُ لِقُلُوْبِكُمْ وَقُلُوْبِهِنَّ. (الاحزاب ٣٣:٥٣)

وفي تبعية هذا الحكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يضع ترتيبات خاصة للحجاب لزوجاته عندما يأخذهن في الرحلة معه. فقد ذكر أنس رضي الله عنه زواج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة صفية في طريق عودته من خيبر:

قَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ. فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ، وَمَدَّ الْحِجَابَ.

(رواه البخاري، رقم ٤٢١٣)

وحتى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، كان هناك يتم اهتمام خاص لترتيب الحجاب أثناء الرحلة للزوجات. وفي هذا السياق ذكر في الأثر المذكور أن عبد الرحمن بن عوف قد استمر في أداء هذا الواجب في إحدى رحلات الحج. فكان من حكمة الحجاب البقاء في زاوية بعيدة عن الطريق، عند اختيار واد لا يوجد مخرج منه على الجانب الآخر، بدلا من البقاء في ممر الناس، حيث كان من الممكن أن يصبحن مركز اهتمام المارة.

التخريج واختلاف الطرق

فقد ورد هذا الأثر لابن نجيح في فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل رقم ١٢٥٢.

كما جاءت تفاصيل اصطحاب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم في رحلة إلى الحج واتخاذ الترتيبات الخاصة لحجابهن أثناء الرحلة في آثار أخرى أيضا. فقد روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

أَرْسَلَنِي عُمَرُ وَعُثْمَانُ بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ السَّنَةَ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا عُمَرُ يُحِجُّهُنَّ، فَكَانَ عُثْمَانُ يَسِيرُ أَمَامَهُنَّ، فَلَا يَتْرُكُ أَحَدًا يَدْنُو مِنْهُنَّ وَلَا يَرَاهُنَّ إِلَّا مِنْ مُدِّ الْبَصَرِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ خَلْفَهُنَّ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَهُنَّ فِي الْهَوَادِجِ، وَكَانَا يَنْزِلَانِ بِهِنَّ فِي الشِّعَابِ، فَيُقِيلَانِهِنَّ فِي الشِّعَبِ، وَيَنْزِلَانِ فِي فَيْءِ الشِّعَبِ، وَلَا يَتْرُكَانِ أَحَدًا يَمُرُّ عَلَيْهِنَّ. (الطبقات الكبرىٰ، رقم ٨٩١٢)

وقد نقلت أم معبد أيضا نفس الكيفية في روايتها، تقول:

رَأَيْتُ عُثْمَانَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ حَجّا بِنِسَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَرَأَيْتُ عَلَى هَوَادِجِهِنَّ الطَّيَالِسَةَ الْخُضْرَ، وَهُنَّ حِجْرَةٌ مِنَ النَّاسِ، يَسِيرُ أَمَامَهُنَّ ابْنُ عَفَّانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، يَصِيحُ إِذَا دَنَا مِنْهُنَّ أَحَدٌ: إِلَيْكَ إِلَيْكَ،

وَابْنُ عَوْفٍ مِنْ وَرَائِهِنَّ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلْنَ بِقُدَيْدٍ قَرِيبًا مِنْ مَنْزِلِي، اعْتَزَلْنَ النَّاسَ وَقَدْ سَتَرُوا عَلَيْهِنَّ الشَّجَرَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ ثَمَانٍ جَمِيعًا. (الطبقات الكبرىٰ، رقم ٨٩١٤)

(٤)

عَن عَطَاءٍ، قَالَ: حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ جِنَازَةَ مَيْمُونَةَ بِسَرِفَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذِهِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلاَ تُزَعْزِعُوهَا، وَلاَ تُزَلْزِلُوهَا، وَارْفُقُوا. فَإِنَّهُ كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ تِسْعٌ، كَانَ يَقْسِمُ لِثَمَانٍ وَلاَ يَقْسِمُ لِوَاحِدَةٍ. (رواه البخاري، رقم ٤٧٩٧)

شرح الكلمات

نَعْش: سرير جنازة.

لاَ تُزَعْزِعُوهَا: 'زعزع' تعني: هزه بقوة.

شرح الحديث

توفيت السيدة ميمونة عام ٥١هـ في مقام يقال له سرف بالقرب من مكة المكرمة ودفنت هناك. وكان قد تم زواج الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وزفافه بها في نفس المكان في طريقه إلى مكة المكرمة للعمرة في ٧هـ. وفي هذا الصدد ، حث ابن عباس رضي الله عنه من يحمل سرير جثمان عمته السيدة ميمونة رضي الله عنها ، أن يضع في اعتباره إكرام واحترام زوجة النبي . وهذا يعني أنه يجب إكرام واحترام أمهات المؤمنين كما هو ضروري في حياتهن، وكذلك في رفع ودفن جسدهن بعد الموت.

كما يقول ابن عباس أيضا أن السيدة ميمونة كانت من بين الزوجات التسع للنبي صلى الله عليه وسلم. من بين هؤلاء تم تعيين اليوم لثماني زوجات، وهن عائشة، و حفصة، و زينب، و أم سلمة، و أم حبيبة، و ميمونة، و صفية، و جويرية رضي الله عنهن، وكان يقضي معهن يومًا واحدًا بدورها، بينما أعطت السيدة سودة بنت زمعة يوم دورها للسيدة عائشة بسبب كبرسنها فكان لايقضي أيامه معها. وقد جاء في بعض طرق هذا الأثر أن عطاء بن أبي رباح ذكر اسم الزوجة التي لم يتم تحديد دورها، السيدة صفية، وهو أمر غير صحيح. استدرك عليه

الإمام البيهقي بقوله أنها كانت في الواقع السيدة سودة.[1]

التخريج واختلاف الطرق

وقد جاء أثر ابن عباس هذا في المصادر الآتية أيضًا:

مسلم، رقم ٢٧٣٨- النسائي، رقم ٣١٨١- السنن الكبرٰى للنسائي، رقم ٥١٥٩، ٨٦٥٣- مسند أحمد بن حنبل، رقم١٩٨٩- المستدرک على الصحيحين، رقم٦٨٩٩- المعجم الكبير للطبراني، رقم١١٢٢٠- مصنف عبد الرزاق، رقم٦٠٥١- السنن الكبرٰى للبيهقي، رقم١٢٥٦٦- مستخرج أبي عوانة، رقم٣٦٢٠- الطبقات الكبرٰى لابن سعد، رقم٨٧١٧- أخبار مكة للفاكهي، رقم ٢٧٦٦- مشكل الآثار للطحاوي، رقم١٩٥٥-

(مترجمة من الأردية) (للبحث صلة)

---

[1] السنن الكبرٰى، البيهقي، رقم ١٢٥٦٦.

سيد منظور الحسن

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي

(مقتبس من حواره مع محمد حسن الياس)
الحلقة الثانية

التعريف بالقضية

إن حدث شق القمر هو واحد من المعجزات التي نسبت إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد ذكرت في القرآن الكريم في سورة القمر، حيث قال الله تعالى: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ". تعتبر هذه الآية دلالة على صدق الرسالة النبوية وإشارة إلى قرب يوم القيامة. والكثيرمن المفسرين والمحدثين وكتاب السير يقدمون ذلك استنادًا إلى الآيات الأولى من سورة القمر والعديد من روايات جاءت في كتب الحديث. فقد جاء في سورة القمر أن الساعة قد اقتربت وانشق القمر، لكن مكذبي الرسول لن يصدقوا. حتى لو رأوا أي علامة، فإنهم سيعرضون عنها وسيقولون إن هذا سحر قديم. وقد أظهرت العديد من الروايات في كتب الحديث تفاصيل هذا الحدث حيث يروى أن أهل مكة طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آية ليصدقوا دعوته، فأراهم انشقاق القمر إلى شقين. وهذالحدث الحسي قد حدث قبل حوالي خمس سنوات من الهجرة إلى المدينة. وكان من بين شهود العيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبعض من صحابته الكرام، وكفار قريش. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه موجودين في مِنًى. وكان القمر في شكل بدر كامل واضحا جليا منيراً. وفجأة انشق القمر إلى

نصفين، وذهب أحد النصفين إلى جانب الجبل والآخر إلى الجانب الآخرمنه. واستمر هذا المنظر المدهش لحظةً ثم التقى النصفان بعضه البعض وصاربدراً كماكان قبل. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يكونوا شهودًا على هذا الحدث. وقد رأى الكفار هذا المنظر مباشرة، لكنهم لم يصدقوا أعينهم. لذلك حاولوا إنكاره بقولهم إنه سحر. ولكن اقترح بعضهم أن ننتظر عودة المسافرين مناقبل أن نتخذ قرارًا نهائيًا. فستكون ملاحظتهم حاسمة، لأن أعيننا قد تُسحر، لكنهم بسبب غيابهم لا يمكن أن يكونوا مسحورين. فقبلوا هذا الاقتراح. وعندما عاد أولائك الناس، تبين أنهم أيضًا شهدوا انشقاق القمر بنفس الطريقة. وبالتالي، لم يعد بإمكان الكفار إنكار الحدث.

ومع ذلك، فعلى الرغم من ذلك لم يؤمنوا وظلوا متمادين على إنكار رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) وإنذاره ودعوته. هذا هو المعنى العام لروايات جاءت عن عبد الله بن مسعود و جابر بن متمم و عبد الله بن عباس و أنس بن مالك وبعض الصحابة الآخرين الذين يتفق المفسرون والمحدثون على صحتها. إضافةً أنه قد جاء أيضا في بعض الرويات المنسوبة إلى أنس رضي الله عنه أن هذه الحادثة كانت ردا على طلب قريش لأي معجزة ووقعت مرتين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قبل بعض العلماء والمحدثين هذه الإضافة ورفضها البعض باعتبارها مسامحةوخطأ من الرواة .

وعلى الرغم من الإجماع العام للعلماء على حدوث انشقاق القمر ، إلا أن هناك خلافا حول طبيعته الإعجازية. فمعظم علماء الحديث والتفسير يشملونه في ضمن معجزات النبوة وينسبون صدورها إلى النبي صلى الله عليه وسلم . إلاأنه يعتبرها بعض العلماء الآخرين إحدى علامات الله، لكنهم لا يطبقون عليها المصطلح المعروف للمعجزة. فوفقاً لهم ليس من الصحيح علميا ودلاليا اعتبارها معجزةَ نبوة. ويتمسك بهذا الرأي المولانا أبو الاعلى المودودي والمولانا أمين أحسن الإصلاحي، وكان عالمان بارزان في العصر الحاضر.

ويتفق الاستاذ جاويد أحمد غامدي معهما في بحث انشقاق القمرفي أجزائه الكافة وماخلصا إليه من رأي كلي. وقد وصف هذا بأنه هو الآخر موقفه. لذلك، فهو يعتبر شق القمر حدثا حسيا ومظهرا من مظاهر قوة رب العالمين. فعنده قد

ظهرت هذه الحادثة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لدعم إنذاره ودعوته وكتحذير للمكذبين له. ويبني الاستاذ على القرآن بناءَ موقفه هذا، لكنه يدعم فهمه بقبول ماجاء في الأحاديث و يقبل الآثارالمتعلقة في فهمه وتأييده تماما. ومع أنه لا يعتبر إطلاق مصطلح المعجزة صحيحاً لتفسير هذا الحدث. والسبب في ذلك أنه لم يتم ذلك بتوسط رسول الله صلى الله عليه وسلم له. وقد تم استخدام كلمة "آية" في سورة قمر لهذا الغرض. مما تنبئ نظايرها في القرآن إلى أنه إذا كان المقصود استعمال مصطلح المعجزة فيجب استخدامه فقط للآيات التي تجيئ بواسطة الأنبياء عليهم السلام. لأن هذا المصطلح لايناسب استخدامه للآيات التي نزلت مباشرة عن الله.

وهذا الكتاب الذي هو قيد التأليف والمراجعة هو بيان لهذا الموقف لأستاذنا الجليل. ويتكون من أربعة فصول وعدد قليل من الملاحق. وعنوان الفصل التمهيدي هو "مفهوم ومصداق الآية ". هذا هو أساس المناقشات القادمة. ففيه تم تحديد تطبيقات كلمة "آية" على أساس نظائرها التي جائت في القرآن. وفي ضوء ذلك يتم تحديد معنى هذه الكلمة ومصداقها في سورة القمر بقطعية كاملة. وعنوان الفصل الثاني هو: حادثة انشقاق القمر في ضوء القرآن". وفيه تمت دراسة الآيات ذات الصلة من سورة القمر في سياق مناقشة الفصل الأول. وفي هذا الصدد، وصفت طبيعة انشقاق القمر وماهتيه وغرضه بالتفصيل. وفي الفصل الثالث تم تحليل روايات جاءت في حدث انشقاق القمر. وقد جاءت فيها مناقشة جميع الروايات الأساسية وجميع مباحثها. ويلخص الفصل الرابع وجهات نظر المولانا أبي الأعلى المودودي والمولانا أمين أحسن الإصلاحي حول الموضوع قيد البحث. والغرض من ذلك هو أن المواقف التي اتفق معها الأستاذ الجليل تماما يجب أن تخرج بمصادرها الأصلية ويجب أن يكون واضحا تماما أن رأي المعلم ليس تفرده هو ، بل هو بيان لموقف ورأي لمن تقدمه من عالمان جليلان.

ويتكون الجزء الأخير من بعض الإضافات. ويتضمن بعض المكونات المهمة للمادة وبعض المناقشات التفسيرية في ضوء المتطلبات الأكاديمية والفنية.

والغرض من هذه هو توفير التسهيلات للقراء إذا كانوا يريدون المزيد من البحث والتنقيح أو الوصول إلى مصادر البحث والمناقشة.

(يُتبع)

محمد حسن إلياس

قضية التبديل في نصابات الزكوة بين الشيخ القرضاوي والأستاذ جاويد أحمد غامدي

تستند الأحكام الإسلامية دائما إلى سبب معقول، وإذا تغير ذلك، يمكن أن يتغير تطبيق الأحكام أيضا. وقد ورد في أصول الفقه هذه القاعدة بلفظ تال:

"الأحكام تدور مع عللها وجودًا وعدمًا"

أي أن أحكام الشريعة تدور في الوجود والعدم مع سببها. وهذا يعني أنه عندما يظل سبب الأمر قائما، ينطبق هذا الأمر أيضا، وعندما تنتهي علته، يمكن أن يتغير تطبيق الحكم أيضا.

إن مصارف الزكاة حكم مقرر لا مجال فيه للاجتهاد، ولكن حد نصابها والامتيازات الممنوحة فيه هي في الأساس أمور اجتهادية. سنرى السبب الحقيقي والعلة هنا أيضا. كما تم تحديد مقرر الزكاة ونصابها وفقاً لنفس المبدأ بحيث لا يستطيع تحمل تكاليفها إلا من يستطيع القيام بهذا الواجب. هذا هو السبب في أن هناك مجالا لمراجعة نصابات الزكاة في سياق التغيرات الاقتصادية الحديثة.

إن الحد الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في مسار الزكاة قد انتقل من خلال السنة النبوية. وبناء على ذلك، تم وصف خمسة أواقي (أي مايساوي٦٤٢ جراما من الفضة وخمسة أوسق (أي مايساوي٦٥٣ كيلوغراما من التمر أو الحبوب) في المنتجات الزراعية.

وكان السبب الرئيسي لجعل الفضة معياراً في نصاب الزكوة في زمن النبوة هو أنها كانت الفضة المصدر الرئيسي للتبادل العام للمال (currency) وكانت

تمثيلا حقيقياً للظروف المالية للطبقة الوسطى. ففي ذلك الوقت كان سعر الفضة وقوتها الشرائية يعتبر مقياسا موثوقا به للحالة الاقتصادية. على هذا الأساس، كان يمكن التمييز بوضوح بين من هو صاحب الاستطاعة ويقدر على تحمل التكاليف وبين من يستحق الزكاة.

ويقول الشاه ولي الله في كتابه (حجة الله البالغة) وهو يبين حكمة تحديد نصاب الزكاة مامفهومه: إن الحكمة من تحديد الشريعة الإسلامية لخمسة أوسق من التمر والحبوب في نصاب الزكاة أن هذا القدر يكفي لحاجات أسرة صغيرة لمدة عام كامل، والأسرة الصغيرة تعني الزوج والزوجة، و الولد، أو الموظف، أو أسرة قليلة العدد مثل ذلك. والحد الأقصى للطعام الذي يأكله الإنسان هو رطل أو مد، وحتى بعد أكل هذا القدر قد يتبقى منه شيء لأسباب طارئة. وقد حدد الشرع مبلغ خمس أواق (مائتا درهم) في زكاة الفضة لأن هذا القدر يكفي أيضاً أسرة صغيرة لمدة عام، بشرط ثبات الأسعار طوال العام في جميع المناطق. وإذا نظرت إلى المناطق التي تتوازن فيها تقلبات الأسعار، تجد أن هذه القاعدة صحيحة.

ويقول الشاه إضافة إلى ذلك عن النصاب فيما يتعلق بالزكاة المقررة على الحيوانات في الشريعة الإسلامية:مامفهومه:

> "وقد حدد الشرع عدد الإبل بخمس من الإبل، ووضع عليها شاة واحدة في الزكاة – مع أن الأصل أن يكون نوع الزكاة من الإبل نفس نوع الزكاة من المال – لأن الإبل حيوان كبير وله منافع عظيمة، ويستخدم في الأكل والركوب ودرّ اللبن وحصول النسل منه ،كما أنه يحصل الإنسان منه على الدفء والحرارة من صوفه وجلده، وبعض الناس يقتني بعض الإبل من أجود أنواع الإبل، وهي تعادل عدداً كبيراً من الإبل من حيث المنافع، وقد ورد في الأحاديث أن الإبل في عهد النبي كانت تساوي ثمانية وعشرة واثنتي عشرة من الغنم، فجعل صلى الله عليه وسلم نصاب الإبل خمساً، وجعل فيها شاة واحدة في الزكاة."
>
> (حجة الله البالغة)

وهذا الرأي يوضح أن المقرر لم يتحدد بمعزل عن الزمان أو المكان أو أي نظام

اقتصادي معين، بل كان يتحدد مع الأخذ في الاعتبار للظروف الثقافية والاقتصادية في ذلك الوقت، والاحتياجات المالية للأسرة، والبنية العامة للاقتصاد.

والسبب هو أن الشرائع السابقة كانت قد اعتمدت معايير مختلفة فيما يتعلق بنصاب الزكاة .وفي الشريعة الإسلامية تغيرت نصابات الزكاة أيضاً وفقاً للظروف الثقافية.

ففي الأمم السالفة، كان الإنتاج الزراعي في البداية هو المعيار الرئيسي، ولكن في فترات لاحقة، أصبح الثروة الحيوانية، إلى جانب السلع الأساسية، أساسَ المقررات الزكاتية. بينما في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح الاقتصاد معتمداً بشكل أكبر على المال والنظام التجاري. وفي هذه الفترة أصبح نظام الصرف يعتمد بالدرجة الأولى على الذهب والفضة، ولذلك تم تحديدهما كمعيار لنصاب الزكاة.

لاجتهاد في مسائل الزكاة سوابق تاريخية

وهذه ليست المرة الأولى التي تبرز فيها الحاجة إلى الاجتهاد في نصاب الزكاة. وقد اجتهد الفقهاء والصحابة عبر التاريخ في اتخاذ القرارات الاجتهادية آخذين بعين الاعتبار الظروف الاقتصادية المستجدة. ففي عهد خلافة عمر رضي الله عنه حدثت تغيرات هائلة في الاقتصاد الإسلامي، فوضع مبادئ الزكاة واجتهد في تطبيقها .وفيما يلي لمحة موجزة عن آرائه واجتهاداته:

أولاً: الاستثناءات في زكاة المنتجات الزراعية: فقد خفف سيدنا عمر رضي الله عنه في زكاة المنتجات الزراعية، لأن بعض المحاصيل كانت من حاجات الناس الأساسية، وكان أخذ الزكاة منها يثقل كواهل الناس .

ثانيا: قرار عدم جباية الزكاة من الخيل: مع أن بعض الفقهاء يرون وجوب الزكاة على الخيل، إلا أن عمر رضي الله عنه قضى بعدم جباية الزكاة من الخيل نظراً للظروف الاقتصادية في ذلك الوقت

ثالثا: التساهل في زكاة الأنعام: لقد وضع سيدنا عمر (رضي الله عنه) في اعتباره مبادئ التساهل والشدة في أداء الزكاة حتى يتم الحفاظ على روح الزكاة الأصلية. وكذلك اجتهد فقهائنا بين الحين والآخر في مسائل مختلفة تتعلق

بالنصاب في ضوء هذه الاحتياجات نفسها، فعلى سبيل المثال: في البداية كانت الزكاة واجبة في الغالب على المحاصيل الزراعية والماشية والذهب والفضة، ولكن مع اتساع نطاق التجارة، توصل الفقهاء إلى أن الزكاة تجب في جميع أنواع السلع التجارية بغض النظر عن شكلها (الملابس، والمجوهرات، والأشياء الثمينة، والأسهم، وما إلى ذلك).

وكذلك الحال في زكاة الأوراق النقدية، وزكاة ما يشبهها من الحيوانات، كالجاموس مثلاً. وهذه الاجتهادات دليل على أن مبادئ الشريعة مع المحافظة عليها فإن تطبيقها ممكن في حدود الشريعة مع مراعاة الظروف.

وفي هذا الصدد يعرض اثنان من المفكرين الكبار في هذا العصر، هما العلامة يوسف القرضاوي والأستاذ جاويد أحمد الغامدي، موقفهما.

موقف القرضاوي

وقد تناول الشيخ هذه المسألة بالتفصيل في كتابه فقه الزكاة. وحجته أن الغرض الأساسي من الزكاة هو ضمان العدالة الاجتماعية والإنصاف. أي أن من كان مقتدراً فعليه إخراج الزكاة، ومن كان محتاجاً فعليه أخذ الزكاة. ولكن إذا جعل النصاب الفضي هو الأساس فإنه يجب على من يواجه صعوبة أن يدفع الزكاة، وهذا مخالف لمقصود الزكاة. وبحسب القرضاوي فإنه لا يمكن تعديل المبادئ الأصلية، ولكن بما أن النصاب اجتهادي فإنه يمكن التأمل فيه. وبحسب قوله، في الماضي لم يكن هناك فرق كبير بين قيمة الذهب والفضة، أما اليوم فقد انخفضت قيمة الفضة بشكل كبير. إذا تم الحفاظ على معيار الفضة، فإن الشخص الذي يمتلك ممتلكات بقيمة بضع مئات من الدولارات فقط يمكنه أيضًا أن يصبح حاملًا لنصاب الزكوة فتجب عليه .في حين أن القصد الحقيقي هو إعطاء الزكاة لهؤلاء الأفراد، وليس فرض الزكاة عليهم.

فقد كتب في كتابه القيم فقه الزكوة مامفهومه:

"والسؤال المطروح هو: هل يجوز لأسرة في بلد إسلامي أن تعيش سنة كاملة على خمسين ريالاً أو خمسين جنيها مصرياً أو سعودياً أو باكستانياً أو هندياً أو حتى يعيش عليها شهراً أو أسبوعاً؟ والواقع أن هذا المبلغ في البلدان النفطية

التي ارتفع فيها مستوى المعيشة إلى حد كبير لا يكفي حتى لسد احتياجات الأسرة المتوسطة اليومية، فكيف يعتبر صاحب هذا المبلغ غنياً في نظر الشريعة؟ هذا بعيد المنال!" (فقه الزكاة)

قد أيد هذا الموقف مبدئيا الأستاذ جاويد أحمد غامدي في كتابه ميزان:

موقف الأستاذ جاويد أحمد غامدي

يرى غامدي أن مقدار الزكاة لا يتغير، لأنه محدد من الله مباشرة. ولكن هناك مجال للاجتهاد في تحديد النصاب وتطبيقه فقد كتب:

"وثالثاً إذا أرادت الدولة أن تستثني شيئًا من الزكاة مراعاةً للظروف فلها أن تفعل ذلك كما أنها يمكن لها أن تضع نصاباً متوافقاً للتقليد السائد للأشياء التي تحصل عليها الزكاة، ولأجل هذا الغرض قد وضع النبي صلى الله عليه وسلم نصاباً للزكاة في المال والماشية والإنتاجات الزراعية."

ورغم أن غامدي يرى أن أسعار الذهب والفضة لا تزال صالحة اليوم في حدود هذه المعادن، فإنه يعطي الدولة صلاحية مراجعة أسعار الزكاة في ضوء الإنتاج والادخار المالي .وأصل هذا الاجتهاد أن الزكاة لا تجب إلا على الأغنياء، ولا تجب على من يعاني من ضائقة مالية. وبموجب هذا المبدأ فإنه يجوز للدولة أن تعدل من نظام الزكاة وتطبيقها بما يتناسب مع الظروف الاقتصادية المتغيرة.

ويطبق غامدي الزكاة أيضاً على مصادر الدخل الجديدة المتولدة في الاقتصاد الحديث ويعتبر الزكاة غير مقتصرة على مصادر الدخل التقليدية (مثل المنتجات الزراعية والذهب والفضة والثروة الحيوانية)، وبالتالي يطبق الزكاة على الإنتاج من الرواتب والخدمات والإيجارات والإنتاج الحديث .فيكتب في كتابه "ميزان":

"أما في الإنتاج فإذا حصل من العمل والجد أصالة أو من رأس المال أصلاً ففي لك حصاد يؤخذ عشر المال وإذا حصل الإنتاج من تعامل الكسب والمال كليهما فنصف العشر، وإذا حصل فقط بالعطية الإلهية بغير الكد والمال كليهما فعشرون في المئة."

في حين أن السيد غامدي يطبق الزكاة على وسائل الإنتاج الجديدة والمماثلة، فإنه يؤمن أيضًا بالاجتهاد في تحديد منهجها ومقررها وتطبيقه مع الحفاظ على

مبادئها الأساسية حتى يظل نظام الزكاة أكثر فعالية وقابلية للتطبيق بما يتماشى مع الظروف الاقتصادية اليوم.

خارطة الطريق لتغيير المناهج في العصر الحديث

وفي رأينا المتواضع، فإن الطريقة المنطقية والفعالة لتحديد معدل الزكاة ونصابها في الاقتصاد الحديث قد تكون في الاستناد إلى المبادئ الاقتصادية الحديثة ومعايير القدرة المالية السائدة في النظام الضريبي. فاليوم أصبحت المعايير التي يضعها الاقتصاد لتقييم الوضع المالي علمية وعملية إلى حد كبير، وهي تأخذ بعين الاعتبار الوضع المالي الفعلي لأي فرد أو أسرة والوضع الاقتصادي للمنطقة.

وكما أن النظام الضريبي يضع حداً معيناً للدخل (income threshold) لحماية ذوي الدخل المنخفض من الأعباء المالية غير الضرورية، فإن نصاب الزكاة يمكن أن يستند أيضاً إلى هذا المبدأ بحيث لا تنطبق الزكاة إلا على أولئك الذين هم مستقرون مالياً حقاً، ولا تشكل عبئاً غير ضروري على الطبقات المتوسطة والفقيرة.

وبالإضافة إلى ذلك، تتم مراجعة معدل الضريبة بشكل دوري للتأكد من توافقه مع الوضع المالي للجمهور .ويمكن تطبيق نفس المبدأ على منهج الزكاة حتى يكون نظامه منسجماً مع الواقع الاقتصادي في العصر الحاضر، ولا يتأثر بروحه الأصلية.

وإذا جرت بحوث واجتهادات جماعية بشأن نصاب الزكاة، فإن أعظم فوائدها هي أن هذا النظام سوف يتمكن من ضمان التوزيع العادل للموارد المالية، ويمكن تلبية الغرض الحقيقي من الزكاة، والمتطلبات الاقتصادية للنظام الجماعي، في ضوء العدالة الاجتماعية والإنصاف.

المصادروالمراجع

١. القرضاوى، يوسف – "فقه الزكوٰة"، دارالقبس

٢. غامدي، جاويد أحمد – "ميزان"، المورد

٣. الشا ه ولي الله – "حجة الله البالغة"، دارالكتب العربية،

٤. ابن رشد – "بداية المجتهد"، دارالسلام
٥. ابن قيم الجوزية – "إعلام الموقعين"، دارابن الجوزي،

(مترجمة من الأردية)

صاغه بالعربية د.محمد غطريف شهباز الندوي

سيد منظور الحسن

قضية نزول المسيح: موقف الأستاذ غامدي

(ملتقط من حواره مع الأخ حسن إلياس. قام
بترجمته إلى العربية: الدكتور محمد غطريف شهباز
الندوي)

الحلقة الثالثة

نصوص الحديث

إن موضوع نزول المسيح يحتوي على ما يقرب من أربعين رواية، نُقلت في الصحاح الستة، وفي جميع دواوين الحديث فيماقبلها وبعدها تقريباً. وجاءت هذه الروايات من قبيل الدرجات الثلاثة: الصحيحة والحسنة والضعيفة. والتفاصيل التي تظهر من المفهوم المجموعي لهذه الروايات تُدرج كنقاط فيما يلي:

الحرب بين المسلمين والمسيحيين في الشام

*سيحدث حرب على أرض الشام قبل قيام الساعة.

* وستأسر حكومة المسلمين في الشام عدة رجال من النصارى . ورداً على هذا يجهز جيش النصارى للهجوم على الشام، وسوف يتقدمون حتى يصلوا إلى داخل الشام إلى منطقة "أعماق "أو "دابق".

* عندما تصل أنباء هذا الهجوم إلى حكومة المسلمين في المدينة المنورة، فإنهم سيقومون بإرسال جيشهم لمساعدة أهل الشام وهذا الجيش سيتكون من مسلمين صالحين للغاية.

* وعندما تكون هذه الجيش مستعدة لمواجهة جيش المسيحيين سيتم

إبلاغها من قبل جيش المسيحيين بعدم التدخل في أمورهم والابتعاد عن الطريق.

* ويرفض جيش المسلمين في المدينة التراجع قائلين: لن نترك إخواننا وحدهم في مواجهتكم.

*بعد ذلك ستبدأ الحرب بين الجيشين.

*ومع بداية الحرب، سيهرب ثلث جيش المسلمين. فيكون هذا جريمة كبيرة ولن يغفرها الله تعالى.

* وسيستشهد ثلث جيش المسلمين .وهؤلاء المستشهدون سيكونون عند الله من أفضل الشهداء.

*وسوف يحقق الثلث الباقي من الجيش المسلم النصر على المسيحيين وينتصر.

فتح القسطنطينية

* وبعد الحرب التي سيحقق فيها المسلمون النصر في بلاد الشام سيتوجه الجيش الإسلامي نحو مركز المسيحيين في القسطنطينية بدلاً من العودة إلى المدينة.

* وهناك ستحدث الحرب، وستفتح القسطنطينية وتصبح تحت سيطرة المسلمين.

* سيتم توزيع الغنائم بعد تحقيق النصر.

* والجنود المسلمون سيكونون مطمئنين وغير خائفين لدرجة أنهم سيعلقون سيوفهم على أشجار الزيتون.

ظهور الدجال

- في هذه الأثناء ، سيخبرهم الشيطان إعلاناأن المسيح الدجال قد وصل إلى أهلهم وعيالهم في الشام.
- وعند سماع ذلك، سينسحب جيش المسلمين من القسطنطينية.

شخصية الدجال

المسيح الدجال يكون شاباً .لونه يكون قمحيا شعره يكون أجعد قططا.

* ويكون أعور العين اليمنى.

* وعيناه تكونان مغطاة بلحم كثيف

* مكتوب بين عينيه كافر.

* يكون مشابها لشخص من زمن الجاهلية وهو عبد العزى بن قطن.[1]

*و يسير بسرعة الرياح.

إجراءات الدجال وأعماله

ويأمر السماء بأن تمطر، فتبدأ الأمطار في النزول.

* وَيَأْمُرَ الأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ الشَّجَرَ فَتُنْبِتَهُ.

* ويأمر الأرض بأن تخرج كنوزها فتخرجها.

* وبأمره تعود الماشية من مراعيها بحيث تكون سنامها طويلة وأوراكها عريضة وممتدة، وأضراعها مليئة بالحليب.

* و يقسم جسد شخص إلى نصفين ويقتله، ثم يناديه فيعود إليه حياً ضاحكاً.

* والناس سوف يقبلون دعوته عندما يرون أعماله تلك البطولية.

* أول من سيتبعها النساء العامة والإماء.

* ويدّعي أنه رب.

* ويرغب في دخول المدينة، لكنه لن يتمكن من الدخول فيها.

إقامة الدجال على الأرض

إنه ينشر الفساد في الأرض وسيبقى في العالم لمدة أربعين يومًا وأربعين شهرًا أو أربعين سنة.

نزول عيسى عليه السلام

وعند عودة الجيش الإسلامي من القسطنطينية إلى الشام وعندما يصطفون لأداء صلاة الفجر، في ذلك الوقت سينزل سيدنا عيسى عليه السلام.

وينزل مِنَ السَّمَاءِ مُبَاشَرَةً وينزل عِنْدَ مَنَارَةٍ بَيْضَاءِ فِي الجَانِبِ الشَّرْقِيِّ لِمَدِينَةِ دِمَشْقَ، أَوْ حَسَبَ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ ينزل قَرِيبًا مِنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ فِي مَكَانٍ يُدْعَى رُوحَاء.

وينزل واضعا يديه على أجنحة الملائكة عند النزول .

شخصية السيد المسيح عليه السلام

سيكون طول السيد المسيح عليه السلام متوسطاً. لون وجهه سيكون أحمر

---

[1] عبد العزى بن قطن بن عمرو الخزاعي كان ابن هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها ومات على الجاهلية.

وأبيض.

وعلى الرغم من جفاف شعر الرأس، إلا أنه يبدو وكأنه مبتل وتبدأ قطرات الماء بالتقاطر منه .وعندما يخفض رأسه تتساقط قطرات الماء، وعندما يرفع رأسه تتساقط حبات من الفضة البيضاء.

وفي الشكل الظاهري يكون مشابها بعروة بن مسعود.[٢]

ويكون مرتديا ملابس ذات اللون الأصفر.

إمامة الصلاة

ويطلب أمير المسلمين آنذاك من عيسى عليه السلام أن يتقدم للإمامة

فيقول عيسى عليه السلام إن إمام المسلمين هو الذي أحق بإمامة الصلاة . ولذا يؤمهم المهدي.

ولكن هناك بعض الروايات تقول بأن عيسى عليه السلام هو الذي يؤم الصلاة.

عيسى عليه السلام ومعركته مع الدجال

ثم يخرج عيسى عليه السلام لمحاربة الدجال

و الدجال بدوره عندما يراه، سيبدأ في التحلل تمامًا مثلما يذوب الملح في الماء وكأن الوضع سيكون أنه إذا تركه السيد المسيح عليه السلام على حاله، فسينتهي. بالتحلل والتلاشي من تلقاء نفسه.

لكن عيسى عليه السلام يقوم بقتله بحرابة له بأمر الله

وذلك حين يأخذه إلى البوابة الشرقية للُّد،[٣] ويقتله بالطعن بالرماح بالقرب من مضيق أفيق.[٤]

وبعد القتل يعرض للناس رمحه الذي سيكون عليه دم الدجال.

---

[٢] الصحابي المعروف عروة بن مسعود الثقافي. كان شخصية موثوقة في قريش. وكان جميلا جدا ووشخصية وجيهة.

[٣] لد (Lydd) هي مدينة في فلسطين ، تقع بالقرب من العاصمة الإسرائيلية تل أبيب.

[٤] آفيق هي مدينة سورية تقع على الحدود مع إسرائيل. بالقرب منها بحيرة طبرية التي ينبع منها نهر الأردن. إلى الجنوب الغربي يوجد مسار منخفض بين الجبال. يعرف هذا الطريق باسم وادي أفيق أو عقبة أفيق.

نهاية جيش الدجال اليهودي

جيش الدجال يتكون من سبعين ألف يهودي.

وبعد قتل الدجال سيحاول اليهود الاختباء، لكنهم لن يجدوا مأوى.

فيحاولون الاختباء خلف الأشجار والحجارة. ولكن الأشجار والحجارة ستتكلم وتخبر يا روح الله، انظروا، اليهود هنا موجودون.

ونفحة من نفس عيسىٰ عليه السلام تصل إلى أي يهودي ـــ والذي سيبلغ مدى بصره- فلن يبقى حيًا.

فَقَد يُقتَل جميع اليهود في الجيش.

اقدامات السيد المسيح عليه السلام بعد الفتح

وبعد انتصارهم على الدجال، سيقوم السيد المسيح عليه السلام بتحطيم الصليب

ويقتل الخنزير وتوقف الحرب والجزية

خروج ياجوج و ماجوج ونهايته

بعد فترة من نهاية الدجال، سيوجه الله تعالى نداء إلى النبي عيسى عليه السلام ليجمع المسلمين عند جبل الطور

في هذا الأثناء سيخرج يأجوج ومأجوج، وسوف يهجمون من كل مرتفع

سوف يعبرون بحيرة طبرية[٥] أومايسمى بحر الجليل (Sea of Galilee) ويشربون كل مياهه.

فَيَصِلُونَ قُرْبَ جَبَلِ الْمَقْدِسِ وَيَرْمُونَ السِّهَامَ لِقَتْلِ أَهْلِ السَّمَاءِ فَيَرُدُّهَا الله إِلَيْهِمْ وَقَدْ تَلَطَّخَتْ بِالدِّمَاءِ.

ثم سيحاصرون عيسى عليه السلام وأصحابه.

عيسى عليه السلام يتضرع إلى الله لحمايته منهم.

ويخلق الله في أعناقهم دودة، والتي بسببها سيموتون جميعًا دفعة واحدة

---

[٥] أكبر بحيرة مياه عذبة في إسرائيل. تبلغ مساحتها ١٦٦ كيلومترا مربعا.

وكل المنطقة ستمتلئ بجثثهم

ويدعو عيسى عليه السلام للنجاة منهم، فيرسل الله طيوراً مثل الإبل التي ستأخذهم وتحملهم إلى الكهوف

ستكون سهامهم وجعابهم كثيرة لدرجة أن المسلمين سيظلون يحرقونها لمدة سبع سنوات حتى تنتهي.

ظهور بركات الأرض

وببركة عيسى عليه السلام، ستنبت الأرض رمانًا يَكفي لفرقة بأكملها ويكون هذا الرمان كبيرًا لدرجة أن الناس يستطيعون اتخاذ قشره مظلةً.

وحليب ناقة يكفي لجماعة، وحليب بقرة يكفي لقبيلة كبيرة، وحليب شاة يكفي لقبيلة صغيرة.

نهاية جميع الأديان باستثناء الإسلام

وتندثر جميع الأديان الأخرى سوى الإسلام. تملأ الأرض بالمسلمين كما يمتلئ الوعاء بالماء. ووفقًا لبعض الروايات تملأ الأرض بالإسلام كما يمتلئ البئر بالماء.

كلمة البشر تكون لاإله إلا الله ولن يُعبد على الأرض سوى الله.

إقامة السلام والأمن على الأرض

وتصبح الأرض مهدًا للسلام. وستعمّ السلامة في كل مكان.

إزالة العداوة والبغضاء من العالم

وسوف يتصالح الناس الغاضبون، وتنتهي العداوات. حتى أن الحاجة إلى السيوف تنتهي فيصنع منها المناجل.

تغيير في طبيعة الحيوانات المؤذية

الحيوانات المؤذية لن تبقى مؤذية فيلعب الطفل الصغير مع الأفعى ولن تؤذيه كما تتعايش الحيوانات بسلام فيما بينها. وتكون الحالة أن الأسد والفهد

والذئب والجمل والأبقار والمعز، أي الحيوانات المفترسة والأليفة، سترعى معًا.

كما يكون الكلب الذكر محافظا للغنم أو الماعز، كذلك سيكون الأسد حارساً للإبل.

كثرة المال والثروة

ستزداد كثرة المال والثروة.

فتنزل السماء رزقها والأرض ستخرج بركاتها.

ويتم القضاء على الفقر. وتنتهي حاجة المحتاجين. لذلك، يرغب الناس في توزيع المال، ولكن لن يجدوا من يقبله.

فضل العبادة

تكون أهمية العبادة فوق كل شيء.

ويعتبر الناس أن السجدة الواحدة في حضرة الله سبحانه أفضل من الدنيا وما فيها.

حكم السيد المسيح عيسى عليه السلام

سيحكم السيد عيسى عليه السلام المسلمين باعتباره إمامًا عادلًا وحاكمًا منصفًا

ويبقى في الأرض لمدة أربعين عامًا.

وفاة سيدنا عيسى عليه السلام

بعد مرور أربعين عامًا من نزول عيسى عليه السلام سيتوفى.

ويصلّي المسلمون صلاة الجنازة عليه ويدفنونه.

نصوص الحديث

إِنَّ الروايات الحديثية التي تحتوي على هذه النقاط هي كما يلي:

١ - ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلاً،

فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير[٦]، ويضع[٧] الجزية[٨] ويفيض المال حتى لايقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا ومافيها. (البخاري، رقم ٣٤٤٨)

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتي ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله أحد (البخاري، رقم ٢٤٧٦).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم؟ (رواه مسلم، رقم١٥٥)[٩]

٤- وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه – قال :ذكررسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننناه في طائفة النخل. فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ماشأنكم؟ قلنا: يارسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت ورفعت فيه حتى ظننناه في طائفة النخل. فقال غيرالدجال أخوفني عليكم ،إن يخرج وأنافيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم

---

[٦] يشرح المولانا أبو الأعلى المودودي كسر الصليب وقتل الخنزيرقائلا:

"هذا يعني أن المسيحية ستتوقف عن كونها ديانة منفصلة. يعتمد صرح الدين المسيحي بأكمله على الاعتقاد بأن الله أمات ابنه الوحيد (يسوع) على الصليب موتالعيناً، مما جعله كفارة عن خطيئة الإنسان. والسمة المميزة للمسيحيين بين أمم الأنبياء أنهم رفضوا شريعة الله بأكملها اكتفاء بأساس العقيدة ، بل وجعلوا الخنزير مشروعا ، والذي كان محرما في شرائع جميع الأنبياء. لذلك عندما يأتي المسيح ويعلن بنفسه أنني لست ابن الله، وأني لم أمت على الصليب، ولم أكفر عن أي خطيئة، فلن يبقى أي أساس للعقيدة المسيحية. وبالمثل، عندما يقول إنني لم أجعل الخنازير مشروعة لأتباعي ولم أجعلهم محرين من حكم نواميس الشريعة، فإن السمة المميزة الثانية للمسيحية ستنتهي أيضا." (تفهيم القرآن ٤/١٥٥)

[٧] أي أن الخلافات بين الناس ستنتهي ويصبح الجميع مسلمين. نتيجة لذلك، لن تكون هناك حرب ولن تكون هناك حاجة لفرض الجزية.

[٨] وقد جاءت في الرواية الثانية كلمة حرب بدلا من الجزية أي أنه ينهي الحرب.

[٩] أي أن عيسى عليه السلام لايؤم الصلاة.

فامرؤ حجيج نفسه ولله خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه فلقرأ عليه فواتح سورة الكهف. إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالاً ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه في الأرض قال اربعون يوما.

يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله أرأيت اليوم الذي كالسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، ولكن اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله فما سرعته في الأرض؟ قال كالغيث استدبرته الريح.

فيأتي على القوم فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله، فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم، ويصبحون ليس بأيديهم شيء، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم – ماشيتهم - كأطول ما كانت ذُرَاً – جمع ذروة وهي أعالي الأسنمة - وأمده خواصر، وأدره ضروعاً، ثم يأتي على الخرِبة – الأرض الخربة - فيقول لها: أخرجي كنوزك – مدفونك من المعادن - فينصرف منها فيتبعه كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلاً شاباً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين – قطعتين -، ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك.

فبيناهم كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ،فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفع تحدرمنه جمان كاللولوء.فلايحل لكافريجد ريح نفسه إلامات،ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد،فيقتله.ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ،فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هم كذلك إذ اوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم، فحرزعبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها،ويمرآخرهم فيقولون: لقد كان هذه مرة ماء!.

وجاء في رواية أخرى رقم ٧٥٦١ لمسلم.

٥- "ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم نقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما"

ويحصرنبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثورلأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ،فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة.ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الارض فلايجدون في الأرض موضع شبرإلاملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطراً لايكن منه بيت مدر ولاوبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة. ثم يقال للارض: انبتي ثمرتك وروي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الأبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. فبيناهم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة،فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرارالناس يتهارجون فيها تهارج الحمرفعليهم تقوم الساعة. (رواه مسلم، رقم ٧٥٦٠)

٦ – وعن جابربن عبد الله قال:سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمة.[١٠](رواه مسلم، رقم ٤١٢)

٧- وعن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ماهذاالحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا فقال :سبحان الله او لا إله إلا الله، او كلمة نحوها لقد هممت أن لااحدث أحدا شيئاً أبدا إنماقلت: إنكم سترون بعد قليل أمراعظيما يحرق البيت ويكون ويكون.ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج الدجال في امتي فيمكث أربعين لاأدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كانه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يسكت الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاباردة من قبل الشام فلايبقى على وجه الارض احد في قلبه مثقال ذرة من خيراو إيمان إلاقبضته

[١٠] يعني أنه لايؤم الصلاة بنفسه بل يجعل أحدا من الأمة إماما.

حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه.

قال: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فيبقى شرارالناس في خفة الطير وأحلام السباع، لايعرفون منكراً ولاينكرون منكراً. فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألاتستجيبون فيقولون: فماتأمرنا فيامرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلايسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتاً، قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله أوقام ينزل الله مطراً كانه الطل أو الظل نعمان الشاك، فتنبت منه أجساد الناس. ثم ينفخ فيه أخرى فإذاهم قيام ينظرون. ثم يقال: ياأيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم لمسؤلون. قال: ثم يقال اخرجوأ بعث النار فيقال: من كم فيقال: من كل الف تسع وتسع مأة وتسعة وتسعين.[11](٦)

قال:فذاك يوم-يجعل الولدان شيبا-وذلك -يوم يُكشف عن ساق.

(رواه مسلم رقم: ٧٥٦٨)

٨- عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ليس بيني وبينه نبي - يعني عيسى - وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون." (رواه ابوداؤد، رقم٤٣٢٤)

قال أحمد :٩- حدثنا أبو النضر قال: حدثنا سعيد بن جهمان، عَنْ سَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: "أَلَا إنّهُ لَمْ يكن نبيّ قَبْلِي إلا وَقَدْ حَذّرَ أمّتَهُ الدجالَ، هو أعورُ عينِه اليُمْنَى بِعَيْنِهِ اليمْنَى ظَفَرة غَلِظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَينيه كافِرٌ، يَخرجُ مَعَه وَادِيَانِ أحدهُما جنّتُهُ والآخَرُ نَارُهُ فنارُهُ جَنّةٌ وَجَنّتُهُ نَارٌ. مَعَهُ مَلَكان مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُشْبِهَانِ نَبِيّيْن مِنْ الأَنْبِياءِ، وَلَوْ شِئْتُ أن أَسَمّيهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا وأسماء آبَائِهما لَفَعَلْتُ، واحِدُهما عن يمينه والآخرَ عَن شِماله وتلك فتنةٌ. يقُولُ الدجالُ: ألستُ بِربّكُم؟ أَلَسْتُ أُحْيِي وأمِيتُ؟ فَيَقُولُ له أَحَدُ الملكين: كَذَبْتَ فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ إلاّ

---

[11] كأنه يعني أن الواحد من الألف فقط يدخل الجنة.

صَاحِبُهُ فَيَقُولُ لَهُ صَدَقْت فَيَسْمَعُهُ النّاسُ فَيَظُنُّونَ أَنَمَا يُصَدِّقُ الدجال وذلك فتنة ثم يسير حتى يدخل المدينة فلا يؤذن له بدخولها فَيَقُولُ: هَذِهِ قَرْيَةُ ذَاكَ الرجل.ثم يسيرحتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق. (حديث حسن رواه أحمد في مسنده رقم٢١٩٢٩)

١٠-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتي ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لايقبله أحد. (البخاري، رقم ٢٣٤٤)

١١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم؟ (رواه مسلم، رقم١٥٥)

١٢- عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: كنا قعودا نتحدث في ظل غرفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرنا الساعة، فارتفعت أصواتنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لن تكون - أو لن تقوم - الساعة حتى يكون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال، وعيسى ابن مريم، والدخان، وثلاثة خسوف، خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك تخرج نار من اليمن، من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر. (اخرجه أبوداؤد، رقم٣٤١١)

١٣- قال حزيفة بن اسيد رضي الله عنه - : " اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر. فقال: (ما تذكرون ؟ قالوا نذكر الساعة. قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) رواه مسلم، رقم ٢٢٣٩٦)

١٤- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطي المال حتى لايقبل، ويضع الخراج وينزل الروحاء[١٢] فيحج منها أو يعتمرأو يجمع بينهما قال: وتلا ابوهريرة وإن من أهل

[١٢] مقام على بعد ٣٥ ميلامن المدينة.

الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً (النساء١٥٩) فزعم حنزلة أن اباهريرة قال:يؤمن به قبل موته عيسى.فلاادري هذا كله حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو شيئ قاله أبوهريرة. (رواه أحمد في مسنده، رقم ٧٩٠٣)

١٥- عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. يتحدث الحديث عن عصابتين، واحدة تغزو الهند والأخرى تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام. (الحديث رواه الإمام أحمد رقم ٢٢٣٩٦ والنسائي والضياء، وقد تم تصحيحه من قبل الإمام السيوطي)

١٦- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير

ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل وتذهب حمة كل ذات حمة وتنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها حتى يلعب الصبي بالثعبان فلايضره ويراعي الغنم الذئب فلايضرها ويراعي الأسد فلايضرها. (رواه أحمد في مسنده، رقم١٠٢٦١)

(للحديث صلة)

الكاتب: الشيخ علي عبد الرزاق
التقطه وعرضه: د. محمد غطريف شهباز الندوي

بحث في الخلافة

الحلقة الأولى

[كان الشيخ علي عبد الرزاق من مصر أحد من علماء الأزهر المتنورين. فقد أدلي برأيه في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" أنه لايوجد نظام سياسي في الإسلام. وقد أصدر كتابه هذا في عام ١٩٢٥، يدعو إلى فصل الدين عن السياسة والذي أثار ضجة بسبب آرائه في موقف الإسلام من "الخلافة"؛ فرد عليه الأزهر بكتاب "نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم" ومما يُقضى له العجب أن قد عقد له الأزهر المحكمة التأديبية على كتابه هذا فخرج من زمرة العلماء بمقتضى قرار المحكمة وبالأسف. كان هناك الكثير من النقاش والجدل حول هذا الكتاب ورد عليه العديد من علماء الأزهر والكتاب الإسلاميون أيضًا، ننقل هنا بحثاً مستخرجاً من الكتاب.]

معنى الخليفة والخلافة

الخلافة لغة: مصدر، تخلف فلان فلاناً إذا تأخرعنه، وإذا جاء خلف آخر، وإذا قام مقامه. ويقال خلف فلان فلانا إذا قام بالأمرعنه، إما معه وإما بعده. قال تعالى: ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون، الزخرف: ٦٠)

والخلافة: النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه إلخ

والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف[1] والخليفة السلطان الأعظم[2].

الخلافة في الإصطلاح

والخلافة في لسان المسلمين وترادفها الإمامة هي :رياسة عامة في أمورالدين والدنيا نيابةً عن النبي صلى الله عليه وسلم[3] ويقرب قول البيضاوي[4]: "الإمامة عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص للرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة القوانين الشرعية وحفظ حوزة الملة،على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة[5] وتوضيح ذلك ماقال ابن خلدون:"والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظرالشرعي،في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة،فهي في الحقيقة

خلافةعن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به.[6]

معنى قولهم بنيابة الخليفة عن الرسول صلى الله عليه وسلم

وبيان ذلك أن الخليفة عندهم يقوم في منصبه مقام الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان صلى الله عليه وسلم في حياته يقوم على أمرذلك الدين، الذي تلقاه من جانب القدس الأعلى ويتولى تنفيذه والدفاع عنه،كما تولى إبلاغه عن الله تعالى، ودعوة الناس إليه. وعنده أن الله جل شأنه كما اختارمحمداًصلى الله عليه وسلم لدعوة الحق، وإبلاغ شريعته المقدسة إلى الخلق، قد أختاره أيضاً لحفظ ذلك الدين وسياسة الدنيابه.[7]

فلما لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى قام الخلفاءمن بعده مقامه في حفظ الدين وسياسة الدنيا به.

---

[1] راجع المفردات في غريب القرآن للاصفهاني

[2] القاموس والصحاح وغيرها.

[3] عبد السلام في حاشيته على الجوهرة ص ٢٤٢.

[4] ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمربن محمد الشيرازي البيضاوي توفي سنة ٧٩١هـ.

[5] مطالع الأنظار على طوالع الأنوار.

[6] مقدمة ابن خلدون ص ١٨٠.

[7] مقدمة ابن خلدون ص ١٨١.

سبب التسمية بالخليفة

وسمى القائم بذلك: خليفة وإماما فأما تسميته إماماً فتشبيهاً بإمام الصلاة في أتباعه والاقتداء به، وأماتسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة بإطلاق وخليفة رسول الله، واختلف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم، ومنع الجمهور منه وقد نهى أبوبكر رضي الله عنه لما دُعيَ به وقال: لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٨].

حقوق الخليفة في رأيهم

فالخليفة عندهم ينزل من أمته بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم من المؤمنين، له عليهم الولاية العامة، والطاعة التامة، والسلطان الشامل، وله حق القيام على دينهم فيقيم فيهم حدوده وينفذ شرائعه وله بالأولى حق القيام على شؤن دنياهم أيضا،وعليهم أن يحبوه بالكرامة كلها لأنه نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس عند المسلمين مقام أشرف من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سما إلى مقامه فقد بلغ الغاية التي لامجال فوقها لمخلوق من البشر. عليهم أن يحترموه لإضافته إلى رسول الله، ولأنه القائم على دين الله، والمهيمن على حفظه، والدين عند المسلمين هو أعز ما يعرفون في هذا الكون، فمن ولي أمره فقد ولي أعز شيئ في الحياة وأشرفه.

عليهم أن يسمعوا له ويطيعو "ظاهرا وباطنا"[٩] لأن طاعة الأئمة من طاعة الله، وعصيانهم من عصيان الله[١٠] فنصح الإمام ولزوم طاعته فرض واجب، وأمر لازم ولايتم الإيمان إلا به، ولايثبت إسلام إلا عليه.[١١]

وجملة القول إن السلطان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أيضاً

---

[٨] مقدمة ابن خلدون ص ١٨١.

[٩] حاشية الباجوري على الجوهرة.

[١٠] روي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه راجع العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٥ طبع مطبعة الشيخ عثمان عبد الرزاق بمصر سنة ١٣٠٢هـ.

[١١] منه أيضا.

حمى الله[١٢] في بلاده وظله الممدود على عباده، ومن كان ظل الله في أرضه وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولايته عامة ومطلقة كولاية الله تعالى وولاية رسوله الكريم ولاغروَ حينئذ أن يكون له حق التصرف في "رقاب الناس وأموالهم وأبضائعهم".[١٣]

وأن يكون له وحده الأمروالنهي وبيده وحده زمام الأمة وتدبيرماجل من شؤنها وماصغر. كل ولاية دونه فهي مستمدة منه، وكل وظيفة تحته فهي مندرجة في سلطانه وكل خطة دينية أو دنيوية فهي متفرعة عن منصبه، لاشتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا[١٤] فكأنها الإمام الكبير والأصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها، وداخلة فيها، لعموم نظر الخلافة، وتصرفها في سائر أحوال الملة الدينية والدنيوية، وتنفيذ أحكام الشرع فيها على العموم.[١٥]

وليس للخليفة شريك في ولايته ولالغيره ولاية على المسلمين، إلا بولاية مستمدة من مقام الخليفة، وبطريق الوكالةعن الخليفة، فعمال الدولة الإسلامية وكل من يلي شيئاً من أمرالمسلمين في دينهم أو دنياهم من وزير أو وال أو محتسب أو غيرهم كل أولائك وكلاء للسلطان ونواب عنه وهو وحده صاحب الرأي في اختيارهم وعزلهم وفي إقامة الولاية عليهم وإعطائهم من السلطة بالقدر الذي يرى، وفي الحد الذي يختار.

من أين يستمد الخليفة ولايته؟

فقد كان واجباً عليهم، إذ أفاضوا على الخليفة كل تلك القوة ورفعوه إلى ذلك المقام، وخصوه بكل هذال السلطان أن يذكروا لنا مصدر تلك القوة التي

---

[١٢] وفي خطبة المنصوربمكة قال:أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأئيده، وحارسه على ماله أعمل فيه بمشئيته وإرادته، وأعطيه بإذنه، فقد جعلني الله عليه قفلاً إن شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم وإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني إلخ راجع العقد الفريد ج ٢ ص ١٧٩.

[١٣] طوالع الأنوار وشرحه مطالع الأنظارص ٤٧٠.

[١٤] ابن خلدون ص ٢٢٣.

[١٥] ابن خلدون ص ٢٠٧

زعموها للخليفة أنى جاءته؟ ومن الذي حباه بها وأفاضه عليه؟ لكنهم أهملوا ذلك البحث، شأنهم في أمثاله من المباحث السياسية الأخرى، التي قد يكون فيها شبه تعرض لمقام الخلافة ومحاولة البحث فيه والمناقشة. على أن الذي يستقرئ عبارات القوم المتصلة بهذا الموضوع يستطيع أن يأخذ منها بطريق الاستنتاج أن للمسلمين في ذلك مذهبين.

(يُتبع)

بقلم: محمد ذكوان الندوي
نقله إلى العربية: عثمان فاروق

تجربة العيد الأبدي

يروي سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه".

(صحيح مسلم، رقم٧٠٧٢)

للصائم فرحتان لا تشبه إحداهما الأخرى، فرحة تملأ كيانه عند فطره، حين يذوق أول قطرة من ماء بعد ظمأ، ويلمس أول لقمة بعد جوع، فتنتعش روحه ويسكن جسده، وفرحة أعمق وأبهى عند لقائه بربه، حين يفيض عليه من رحمته وكرمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وكما تغمر الصائم نشوة الراحة بعد ساعات من العطش والجوع، فإن لقاء الله سيكون أعظم ارتواء، وأكمل سعادة، حيث تنقشع غمامة الدنيا، وتشرق شمس النعيم الأبدي. فكما ينسى الصائم مشقة يومه حين يفطر، فإن الإنسان حين تغمره أنوار الرحمة الإلهية، سينسى عناء العمر كله، ليصبح النعيم المقيم والراحة المطلقة قدره الذي لا ينقطع.

وفي هذا الحديث النبوي العميق، يتجلى الإفطار كتجربة روحية تمهد للفرحة الكبرى، وكأنها نافذة تطل على ذلك اللقاء الموعود، تذكيرًا لطيفًا بأن الصبر على المشقة يعقبه جزاء لا يفنى، وأن وراء كل عطش مؤقت، ارتواءً لا ينضب.

إفطار الصائم هو "أجر عاجل" يحمل في طياته بشارة مسبقة بـــ"الأجر الآجل" في الجنة وبلقاء الله عز وجل. فتجربة هذه الفرحة العارضة عند الإفطار ليست سوى لمحة خاطفة من السعادة الأبدية، ونموذجًا مصغرًا من النعيم اللامحدود الذي ينتظر المؤمن في دار الخلود. وكأنها بشارة ممهدة وغيض من فيض، تنبئ بما هو أعظم وأبقى. (وهذا الفرح المعجّل نموذج لذلك الفرح المؤجّل)

وبالمثل، فإن شهر رمضان، بما يشتمل عليه من سحور وإفطار، وقيام ليل، وصبرٍ على الجوع والعطش، واجتناب للشهوات واللذات، ومعاناة من التعب وقلة النوم، يمثّل رحلة إيمانية شاقة، لكنها مفعمة بالنور واليقين. وفي ختامه، يمنحنا الله صباح العيد، ذاك الصباح الذي يشرق بأنوار الفرح، ويتوّج مسيرة الصبر والعبادة بالسرور والانشراح. وهذه التجربة الرمضانية في جوهرها ليست سوى انعكاس رمزي للحياة الدنيا المقيّدة والمحدودة، في مقابل حياة الآخرة، حيث الحرية المطلقة والسعادة الخالدة.

وهي بشارة من الله لعباده المؤمنين، بأنّه كما أن أيام رمضان المحدودة (أيامًا معدودات) تنتهي بفرحة العيد وانعتاق النفس من قيود الجوع والعطش، فإنّ هذه الحياة القصيرة ستتوج، لمن صدق مع الله، بحياة أبدية في الجنة، حيث الفرح المطلق، والحرية الكاملة، والنعيم المقيم الذي لا يفنى ولا ينقطع.

ومن حفظ ذكر الله في هذه الدنيا الفانية، وأحسن إلى عباده بصدقٍ ورحمة، فإنّ له في الآخرة مقامًا كريما، وعالما أبديّا تتجلى فيه السعادة في أبهى صورها، حيث لا خوف، ولا حسرة، ولا حزن. إنه العهد السرمدي الذي تفتح فيه أبواب الملكوت لعباد الله الصادقين، في جوار ملك الملوك، حيث تفور ينابيع النعيم، وتجري أنهار الرضوان، ويسري في الأرواح نور السعادة الأبدية، في عالم لا يزول، وفرح لا ينقطع.

يوم العيد هو يوم العهد مع الله، يوم يجدد فيه المؤمن ميثاقه بأن يجعل الدنيا مجرد محطة عابرة لا موطنًا دائمًا، وأن يرى نفسه سائرًا في رحلة نحو دار الخلود، حيث النعيم الأبدي والحياة السرمدية.

إنه يوم الصفاء الروحي، حيث يتحرر القلب من قيود الدنيا وزخرفها الفاني،

ويشرئبّ إلى نور الآخرة وبهائها الدائم. إنه اليوم الذي يعيد فيه المؤمن رسم مساره، جاعلًا الآخرة غايته السامية، فيرتب أولوياته وفق ميزان الخلود، ويقدم ما يبقى على ما يفنى، ساعيًا نحو نعيمٍ لا يزول، وسعادة لا تنقطع.

ينبغي للمؤمن أن يجعل "الصبر والصلاة" (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) زاده في رحلته عبر جسر الحياة الدنيوية، حتى يعبره بسلام وأمان، متجاوزًا دروب الابتلاءات الوعرة بثباتٍ ويقين. كما ينبغي له أن يغذي روحه بذكر الله والتفكر، ويتزود بنور التلاوة والتذكير، ليواصل مسيرته على الصراط المستقيم بعزيمة لا تلين وإرادة لا تنكسر.

هذا هو المعنى العميق للعيد، وهذه أعظم دعواته وعباداته. فطوبى لمن يغادر مصلى العيد وقلبه عامرٌ بهذا العهد الإيماني المتين.

هؤلاء هم الصائمون الذين كتب الله لهم شرف الدخول إلى الجنة عبر "باب الريّان"، ذلك الباب الذي أعدّه لعباده الصائمين، تكريمًا لصبرهم وطاعتهم، كما بشّرت بذلك نصوص الوحي في الحديث النبوي الشريف:

"إنّ في الجنة بابًا، يقال له: الرّيّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، فلا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد. "

وقد روى الصحابي الجليل سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"إن في الجنة بابًا يسمّى الرّيّان، لا يدخل منه يوم القيامة إلا الصائمون، لا يدخل منه أحد غيرهم. فيقال: أين الصائمون؟ فيقومون، فلا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد بعدهم." (صحيح البخاري: ١٨٩٦)

فيا سعد من لبّى نداء الصيام، وسار على درب الطاعة، حتى يحظى بهذه الكرامة العظمى، ويفتح له باب الريّان في دار النعيم المقيم.

يا له من مشهد مهيب! حين يقف المؤمنون عند "باب الريّان"، ذاك الباب المشرق بالريّ والنعيم، وفي استقبالهم خالق الجنة بنفسه، يسقيهم بيده الكريمة، فيفيض عليهم من رحمته ورضوانه:

"وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا" (الإنسان: ٢١)

إنّ حياة المؤمن ليست سوى رحلة صيامٍ طويلة، يبدأها يوم ينطق بكلمة التوحيد، معلنًا صيامه عن كل ما يبعده عن ربه، حتى يحين موعد الإفطار الأعظم في الجنة، حيث يهنأ بلقاء خالقه وينعم برضاه الأبدي.

وهناك، سيستقبل بكرامة لا يدانيها شرف، وعزّة لا يحدّها خيال، في لحظة تعلو على كل فرحة أو تكريم عرفته الدنيا. وعندها، سيرتفع نداء سماويّ شجيّ، يبشّره بالسعادة الأبدية والخلود في دار النعيم.

يا صائمًا ترك الطعام تعففًا
أضحى رفيق الجوع واللأواء
أبشر بعيدك في القيامة رحمةً
محفوفةً بالبر والإنْداء
يا صائمًا عافت جوارحه الخَنا
أبشر برضوانٍ من الديان
عفوٍ ومغفرةٍ ومسكنِ جنةٍ
تأوي بها من مدخل الريان

[أيها الصائم الذي ترك الطعام والشراب طلبًا للطهارة، وصاحب المشقة والجوع، أبشرْ بيوم عظيم في القيامة، يوم تغمره الرحمة، ويعمّه الكرم والإحسان. أيها الصائم الذي صانت جوارحه نفسه عن الفحشاء والمنكر، أبشرْ برضوان ربّ الجزاء، وبعفوه ومغفرته، وبذلك المسكن في الجنة، حيث تدخله عبر باب الرّيّان، فتقيم فيه إقامة أبدية]

وهذا هو الفوز العظيم الذي يجدر بالساعين أن يسابقوا إليه، وللمتنافسين أن يبذلوا فيه جهدهم: وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (المطففين : ٢٦)

[١٥ أبريل ٢٠٢٤م]

عثمان فاروق*

ليكن يستمر رمضان حتى رمضان القادم!

الحمد لله الذي بلغنا رمضان، وأعاننا على صيامه وقيامه، ونسأله الثبات بعده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام، الذي كان أكثر الناس طاعة وعبادة.

ها هو رمضان يوشك على الرحيل، وأيامه المباركة تمضي سريعًا، وكأنها تذكرنا بقيمة الوقت وأهمية اغتنام المواسم الفاضلة. فالحياة لحظات ثمينة، وأعظم الناس فطنة هو من يدرك ذلك، فيواصل السير على درب الطاعة حتى بعد انقضاء الشهر الفضيل.

رمضان: مدرسة إيمانية

لقد كان رمضان مدرسة عظيمة تعلمنا فيها معاني العبودية، والصبر، والإخلاص، والانضباط، ومجاهدة النفس. اعتدنا فيه قيام الليل، وتلاوة القرآن، وكثرة الذكر، والصدقة، وضبط ألسنتنا عن اللغو والغيبة، وصون أبصارنا عن الخيانة، وتجنب المال الحرام. فهل كان كل ذلك مجرد التزام مؤقت؟ أم أنه كان تدريبًا عمليًا للاستمرار في الطاعة بعد رمضان؟

رمضان.. بداية لا نهاية

شهر رمضان فرصة ذهبية لإصلاح النفس، وتنقية القلب، والتقرب من الله.

* باحث بمرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها جامعة العلّامة إقبال المفتوحة إسلام آباد. usmanfarooq710@gmail.com

لكنه ليس مجرد فترة مؤقتة نؤدّي فيها الطاعات ثم نعود إلى ما كنا عليه من قبل. بل ينبغي أن يكون نقطة انطلاق نحو نمط حياة أكثر التزامًا واستقامة. قال الله تعالى:

"وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَاْتِيَكَ الْيَقِيْنُ" (الحجر: ٩٩)

فالعبادة ليست مرتبطة بزمان معين، بل تستمر حتى نهاية الحياة.

كيف نحافظ على أثر رمضان في حياتنا؟

لكي نحافظ على روح رمضان طوال العام بل حتى نهاية الحياة، لا بد من تبني بعض العادات التي تعيننا على الثبات، ومن أهمها:

١- المحافظة على الصلاة في وقتها

الصلاة هي عماد الدين وأهم صلة بين العبد وربه، وقد أمر الله تعالى بأدائها في وقتها، فقال: "اِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ كِتٰبًا مَّوْقُوْتًا" (النساء: ١٠٣). وكما اعتدنا في رمضان على المواظبة عليها بخشوع وحرص، ينبغي أن نستمر في هذا الالتزام بعد انتهاء الشهر الفضيل، فالصلاة ليست عبادة موسمية، بل هي ركن أساسي يجب المحافظة عليه دائمًا.

٢- الاستمرار في قراءة القرآن وتدبّره

كما اعتدنا في رمضان على قراءة القرآن الكريم وتدبّره بقلوب خاشعة، ينبغي أن يستمر هذا النهج بعد انتهاء الشهر الفضيل، فالقرآن ليس كتابًا يتلى في مواسم معينة فحسب، بل هو منهج حياة وهداية دائمة. قال الله تعالى:

"كِتٰبٌ اَنْزَلْنٰهُ اِلَيْكَ مُبٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوْٓا اٰيٰتِهٖ وَلِيَتَذَكَّرَ اُولُوا الْاَلْبَابِ". (ص: ٢٩)

إن المواظبة على قراءة القرآن تمنح القلب طمأنينة، وتزيد الإيمان، وتهذب السلوك، كما أن تدبّره يعمّق الفهم لمعانيه، ويعين على تطبيق أحكامه في الحياة اليومية. ولذلك، من المهم تخصيص وقت يومي لقراءته، ولو بقدر يسير، مع الحرص على التدبّر في معانيه، والاستفادة من تفاسيره. فلنجعل علاقتنا بالقرآن مستمرة كما كانت في رمضان، ولنتخذه رفيقًا في مسيرتنا، فهو النور الذي يضيء دروبنا، والزاد الذي يقوّي أرواحنا، والشفاء لما في الصدور.

٣- الصيام التطوعي

جعل الله الصيام التطوعي وسيلة عظيمة للتقرب إليه وزيادة الأجر، ومن أبرز أنواعه:

صيام الإثنين والخميس، وصيام الأيام البيض (١٣-١٤-١٥ من كل شهر هجري)، بالإضافة إلى صيام ستة أيام من شوال، التي يعد فضلها كبيرًا، حيث قال النبي ﷺ:

"من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر." (رواه مسلم)

يمنح الصيام التطوعي العبد فرصة لمواصلة أجواء الطاعة بعد رمضان، فيغفر الذنوب، ويهذب النفس، ويغرس الصبر والانضباط. لذا، من المستحب أن يحرص المسلم على جعله جزءًا من حياته، ليبقى مرتبطًا بروح العبودية على مدار العام.

٤- المداومة على قيام الليل

قيام الليل عبادة جليلة لا تقتصر على شهر رمضان، بل هي من سمات الصالحين الذين يحرصون على القرب من الله. قال تعالى: "كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ" (الذاريات: ١٧). فهو تهذيب للنفس وتزكية للروح، وطريق لنيل الفضائل والدرجات العلى. وقد أوصى النبي ﷺ بهذه العبادة، فقال: "عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم" (رواه الترمذي). فمن واظب عليه وجد بركته في حياته، وامتلأ قلبه طمأنينة، وكان من أهل المغفرة والرضوان. لذا، ينبغي أن نجعل قيام الليل جزءًا من عباداتنا اليومية، ولو بركعات يسيرة، ليكون وسيلة لنيل رضا الله والفوز بجنته.

٥- الإكثار من الذكر والدعاء

إن ذكر الله هو غذاء الروح وطمأنينة القلب، وبه تحيا النفوس وتزكو الأرواح، فقد قال الله تعالى: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" (الرعد: ٢٨). فالأذكار ليست مجرد كلمات ترددها الألسن، بل هي حصن للمؤمن يحميه من وساوس الشيطان، ويقيه من الشرور، ويزيده قربًا من الله سبحانه وتعالى.

وقد كان الذكر سمة بارزة في حياة النبي ﷺ، فقد كان يذكر الله في كل أحواله، قائمًا وقاعدًا، وفي سيره وجلوسه، وفي صباحه ومسائه، وكان يحثّ أصحابه على المداومة عليه، مبينًا لهم فضله العظيم. وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت" (رواه البخاري)،

فالمواظب على ذكر الله حيٌّ القلب، منشرح الصدر، مطمئن النفس، أما الغافل عن الذكر، فهو كالميت لا حياة في قلبه.

فلنحرص على أن يكون ذكر الله والدعاء ملازمين لنا في كل حين، لا سيما بعد رمضان، حتى نحافظ على الإيمان متجددًا في قلوبنا، ونحظى بالطمأنينة والسكينة، وننال رضا الله ومغفرته، فهو الغفور الرحيم، وهو القريب المجيب.

٦- الاستمرار في الصدقة والإحسان

كان رمضان شهر الجود والعطاء، لكن فعل الخير لا ينبغي أن يكون موسميًا، بل هو باب مفتوح طوال العام. فقد قال النبي ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة" (رواه البخاري ومسلم)، مما يؤكد أن الصدقة، مهما كانت قليلة، لها أجر عظيم وتأثير كبير.

فالصدقة تطهّر النفس، وتزيد البركة، وتكفر الذنوب، وتقرّب العبد من ربه. لذا، ينبغي لنا أن نواصل الإحسان، سواء بدعم الفقراء، أو مساعدة المحتاجين، أو إدخال السرور على الآخرين بوسائل مختلفة، لأن العطاء المستمر سبيل للفوز برضوان الله ونيل البركة في الدنيا والآخرة.

٧- حسن الخلق والتسامح

إن التسامح وحسن الخلق من أهم الفضائل التي دعا إليها الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان أكثرهم عفوًا وصفحًا حتى مع من أساء إليه. وقد قال ﷺ: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فالأخلاق الحسنة ليست مجرد سلوكيات موسمية تتغير بتغير الظروف، بل هي مبدأ راسخ يعكس حقيقة إيمان الإنسان.

فلنجعل من رمضان نقطة تحول حقيقية في سلوكياتنا، ولنجعل حسن الخلق والتسامح نهجًا لنا في حياتنا اليومية، سواء مع أهلنا أو أصدقائنا أو حتى مع الغرباء. فالأخلاق الطيبة لا تقتصر على وقت أو مناسبة، بل يجب أن تكون أسلوب حياة دائمًا، حتى ننال رضا الله، ومحبة الناس، وراحة النفس.

٨- التمسك بمصاحبة الصالحين

الصحبة الصالحة من أعظم النعم التي يمنّ الله بها على عباده، فهي زاد روحي

للمؤمن تعينه في مسيرته إلى الله، وتساعده على الثبات على الحق، وتقويه في مواجهة الفتن والتحديات. فالإنسان بطبيعته يتأثر بمن حوله، قديما قالوا – المرء صنيع بيئته –، فإما أن يجد في رفاقه دعمًا يحثّه على الخير، ويقوده إلى الطاعات، ويذكّره بالله، أو يقع في صحبة تجرّه إلى المعاصي، وتبعده عن طريق الهداية، فتكون سببًا في ضعفه وانحرافه.

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بمرافقة الصالحين فقال: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ" (التوبة: ١١٩). فالصدق لا يقتصر على القول فحسب، بل يشمل الصدق في الإيمان والعمل والعلاقات. لذا، من أراد الاستمرار على الطاعة بعد رمضان، فليحرص على مرافقة الأخيار الذين يشجعونه على الخير، ويثبتونه عند المحن، ويعينونه على البقاء على طريق الهداية.

٩- التوبة والاستغفار وعدم الرجوع إلى المعاصي

علامة قبول رمضان أن يصبح حال المسلم أفضل بعده، فلا يعود إلى الذنوب التي تاب منها، بل يحرص على البقاء قريبًا من الله. فالتوبة الحقيقية ليست فقط ترك المعاصي، بل العزم على عدم الرجوع إليها، مع الإكثار من الاستغفار الذي يطهّر القلب ويزيد الإيمان. كان النبي ﷺ يستغفر الله مائة مرة في اليوم، وهذا يعلّمنا أهمية الاستغفار في حياتنا، فهو يمحو الذنوب، ويجلب الراحة والبركة. لذا، لنحرص على التوبة الدائمة، ونطلب المغفرة باستمرار، حتى نبقى على طريق الطاعة ونفوز برحمة الله ورضوانه.

١٠- الدعاء بالثبات على الطاعة

للاستمرار في الطاعة بعد رمضان، يحتاج المسلم إلى عون الله وتوفيقه، وأفضل وسيلة لذلك هي الدعاء بالثبات. فقد كان النبي ﷺ يكثر من قول: "اللَّهُمَّ يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك." (رواه الترمذي)، مما يدل على أهمية سؤال الله التوفيق والسداد. فالقلوب تتقلب، والنفس تميل، لكن من يداوم على الدعاء ويلجأ إلى الله بصدق، يسهل عليه الثبات على الطاعة، ويُوفَّق للاستمرار في عمل الخير. فلنحرص على جعل الدعاء جزءًا من حياتنا، فهو مفتاح القوة في مواجهة الفتن وسبيل للحفاظ على الإيمان.

كونوا ربانيّين، ولا تكونوا رمضانيّين!

كثير من الناس يلتزمون بالطاعات في رمضان، ثم يعودون إلى التراخي بعده، وكأنهم كانوا يعبدون الشهر لا رب الشهر. قال بعض السلف الصالح: "كن ربانيًا، ولا تكن رمضانيًا!" أي: اجعل علاقتك بالله دائمة، وليست موسمية! وقد سئل أحد السلف عن قوم يجتهدون في رمضان ثم يتركون العبادة بعده، فقال: "بئس القوم! لا يعرفون الله إلاّ في رمضان!"

ومن الجدير بالذكر، أن رمضان ليس غاية، بل وسيلة لتزكية النفس وإعدادها لحياة دينية مستمرة. فإذا كنا قد ذقنا حلاوة القرب من الله في رمضان، فلماذا نتخلى عنها بعده؟

الصيام نوعان: صيام صغير وصيام كبير

أودّ أن أختتم المقالي بكلمات رائعة العالم الجليل والأديب الشهير أبي الحسن علي الندوي رحمه الله : "الصيام المعروف الذي نؤديه في رمضان، رغم عظمته، يمكن تسميته "الصيام الصغير" من حيث مدته الزمنية، فهو يستمر من الفجر حتى المغرب، أي نحو ١٣ أو ١٤ ساعة، وربما أكثر في بعض البلدان التي يطول فيها النهار. لكن، هل هناك صيام أكبر وأطول من صيام رمضان؟ نعم، هناك "الصيام الكبير"، وهو صيام الإسلام نفسه. الإسلام بأكمله هو صيام طويل الأمد، يبدأ منذ أن يبلغ الإنسان ويصبح مكلَّفًا، أو منذ أن يدخل الإسلام لمن لم يكن مسلمًا. وهذا الصيام لا ينتهي عند غروب الشمس، بل يستمر حتى غروب شمس الحياة، أي حتى وفاة الإنسان. وكما أن لصيام رمضان محظورات، فإن الصيام الكبير – صيام الإسلام – له محظورات أيضًا، وهي كل ما حرّمه الله تعالى من المعاصي والمنكرات، وكل ما يخدش التقوى والإيمان." *

---

* مقتبس من خطاب أردي بعنوان "*دوروزے*" (الصيام نوعان) للشيخ أبي الحسن علي الندوي، خطبة الجمعة، مسجد شاه علم الله، تكية رائي بريلي، الهند، ٢٣ رمضان ١٤١٥هـ.

وختامًا، ندعو الله قائلين: اللهم كما أنعمت علينا بالصيام والقيام وأعمال البرّ، فوفّقنا للاستمرار عليها بعد رمضان، وتقبّل منّا أعمالنا في رمضان وبعده، يا كريم، يارحيم.

الدكتور عمار خان ناصر

الهويات الدينية والوضع التاريخي والتحديات التي تواجهها

[هذا العمود المعنون بـ "وجهة النظر" مخصص لكتابات مختلف أصحاب الفكر وتعبر عن آراء أصحابها وليس من الضروري أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته]

في ورشة عمل نظمتها إدارة التعليم والبحث (ORE) أتيحت لي الفرصة أن اتحدث إلى مجموعة من أساتذة المعاهد الدينية من مدارس فكرية مختلفة، اجتمعوا لبحث ومناقشة موضوع "الهويات الدينية والوضع التاريخي والتحديات التي تواجهها" لمدة تتراوح بين ساعة ونصف إلى ساعتين .وبرزت فيها عدة أسئلة مهمة أيضًا ، وتم لي أن اتقدم بمقترحات عدة بشأنها .وفيما يلي ملخص لبعض النقاط الرئيسية التي تحدثت عنها:

(أ) كانت الهوية الدينية للمسلمين في شبه القارة الهندية في المقام الأول هي الإسلام السني الحنفي الصوفي، ومع ذلك، ونتيجةً للعوامل التاريخية، ظهر الإسلام الشيعي أيضا تدريجياً في مقابل الإسلام السني، وإسلام أهل الحديث في مقابل الإسلام

الحنفي، والإسلام السلفي في مقابل الإسلام الصوفي. وفي الآونة الأخيرة، ازداد هذا الانقسام أيضاً بين الإسلام التقليدي مقابل الإسلام الحديث، والإسلام الدعوي والتبليغي مقابل الإسلام السياسي. ومع توفر وسائل التواصل الاجتماعي، فإن هذا الانقسام لم يعد يقتصر على الهويات الجماعية، بل بدأ يتجلى في شكل طوائف شخصية، وبات مختلف أنواع الدعاة المسلمين يشكلون دوائرهم الشخصية.

(ب) وفي هذا الوضع ، تصبح احتمالات أي نوع من التخفيض معدومة بشكل واضح، كما تصبح احتمالات الزيادة واضحة للغاية. وبصرف النظر عن الأسباب التاريخية الأخرى، فإن السبب الأساسي للغاية هو البنية الخاصة للسلطة السياسية الحديثة، والتي لا تحتاج إلى أي هوية دينية أو قانون ديني لوجودها وبقائها فحسب، بل تدعي أيضًا القدرة على فرض السيطرة على الهويات الدينية وفقًا لمفهومها الأساسي .وعلى النقيض من ذلك، في الماضي كانت دار الإسلام مفهوماً دينياً وسياسياً في جوهره، حيث كانت الطبقة الحاكمة تحتاج إلى نوع أو آخر من بين التفسيرات الدينية والمدونة الفقهية للحصول على الشرعية القانونية وإدارة نظام السلطنة .وهذا يجعل الدولة الحديثة، مهما كانت "إسلامية"، مختلفة تمام الاختلاف عن المفهوم السياسي ما قبل الحديث لدار الإسلام.

(ج) كما كان المفهوم الديني والسياسي لدار الإسلام يضمن أن الحاكم مسؤول عن استئصال المذاهب الدينية الضالة ومنع انتشارها. ومن ثم فإن تأثير إقامة صلة بين تفسير ديني معين والسلطة السياسية كان يتجلى في كثير من الأحيان في شكل اضطهاد الجماعات الدينية المعارضة .وعلى النقيض من ذلك، فإن الدولة الحديثة لا تقبل أي مسؤولية من هذا القبيل فحسب، بل تعتبر نفسها مسؤولة عن حماية حقوق الإنسان الأساسية والحريات الديمقراطية لجميع الهويات الدينية.

(د) وبسبب عدم فهم هذه الظاهرة الجديدة للسلطة السياسية والارتباط الذهني بالوضع التاريخي القديم لجأت الهويات الدينية إلى التكفير والإضلال في نطاق الخلافات المتبادلة لتقوية نفسها وتوسعتها. وقد كان لاستراتيجية السياسة

الدينية التي تنتهجها السلطات الدينية في مواجهة السلطة السياسية ثلاثة تأثيرات مباشرة وتشكّلها أمر حتمي. وهذه التأثيرات الثلاثة هي كما يلي:

أولا: تبرير العلمانية.

ثانياً: تبرير إقامة الرقابة الحكومية والقيود على التعبير الديني.

ثالثا: اللامبالاة الدينية والكراهية للدين والإلحاد.

(ه) وبما أن الدولة الحديثة بحد ذاتها لا تعتمد على أي أساس ديني لوجودها أو شرعيتها، فإن طريق إقامة هذه العلاقة بشكل مصطنع وقسري من خلال السياسة الدينية لم يتمكن من الوصول إلى أبعد من هذا. وفي الأساس فإن التقدم المحرز في هذا الصدد يقتصر على المستوى الرمزي والمظاهري، ولم يكن له أي تأثير عملي على نظام الدولة. ولكن في هذا الصراع، تضررت السمعة الأخلاقية للدين والزعامة الدينية بشكل خطير من ناحية، ومن ناحية أخرى، يستيقظ الشعور بالحاجة إلى تدابير مضادة بين الطبقات القادرة على حل الصراعات، والتي قد تظهر نتائجها بعد فترة من الوقت، ولكن آثارها الواضحة يمكن الشعور بها حتى الآن.

(و) وفي الشكل القبيح الذي اتخذه الصراع بين الهويات الدينية على المستوى الاجتماعي، من الواضح أن الدولة لا يمكن أن تكون الضامن لأية هوية دينية معينة، ولكن الكراهية الدينية والصراع الديني منحا الدولة بالتأكيد الفرصة لابتكار أنظمة للسيطرة على التعبيرات الدينية من أجل إرساء السلام، والتي تعمل تحت إشراف الدولة. إن مختلف أنواع لجان السلام على كل المستويات الإدارية، ومجالس العلماء، وحظر الكتب الطائفية، وإعلانات الانسجام الديني، والوثائق مثل وثيقة "رسالة باكستان" هي مظاهر مختلفة لهذا التطور نفسه وتحمل في طيها الرسالة الشاملة بأن الهويات الطائفية تحتاج إلى إشراف الدولة والمساءلة لتظل "أطفالاً صالحين."

(ز) إن المجال الذي تواجه فيه الهويات الدينية أكبرَ انتكاسة وتحدي بسبب الاستراتيجية الحالية للبقاء والتمكين هو مجال إبقاء الجيل الجديد مرتبطاً بدينه،

حتى لو كانت له هوية دينية محددة. وهنا أيضا فإن فهم وتحليل المعرفة الدينية ليس موضوعيا، بل يرتكز على رغبات غير واقعية .فتعتقد الجماعات الدينية أنه كلما كانت حدود الهوية ضيقة وغير مرنة في الاستجابة للتهديدات التي تتعرض لها الهوية، تكون الهوية مصانةً ومحفوظة بشكل أكبر، في حين أن هذا التحليل خاطئ تماما ويؤدي إلى نتائج عكسية. فإن الجيل الجديد لا يملك الصبر الكافي لتحمل عبء الهويات الدينية الثقيلة وغير المرنة. وبقدر ما جعل العلم الحديث والعالم الحديث من الصعب الإيمان بالمبادئ الأساسية للدين، فإن الإصرار على الإضافات التفسيرية والهويات المرهقة لا يقلل من هذه الصعوبة، بل يضاعفها بكثير.

المرحلة الأولى والأكثر شيوعاً هي عندما تصر كل طائفة على إعلان نفسها الطائفة "الوحيدة الناجية الأفضل" من خلال تهديد مصير الطوائف السبعين الضالة (٧٢) الأخرى، فإن المفهوم الديني للمعاناة والمسؤولية والمحاسبة الإلهية التي يخلقها هذا الأمر من المستحيل على أي شخص حتى مع أدنى وعي أخلاقي أن يهضمه. فإذا كان التفسير الوحيد المحفوظ للدين وسط هذه الاختلافات والتأويلات هو تفسير فرقة واحدة، وكان التمسك بها هو الشرط الأول للخلاص، فكم من الناس يستطيعون تاركين وراءهم كل أعمالهم أن يوفروا أنفسهم لهذا البحث أن من هم الفرقة الناجية؟ وإذا كان من المرغوب فيه البقاء على اتصال بالطائفة الموروثة دون بحث، فكيف يمكن أن تكون هناك تخصيصات لطائفة على أخرى؟

هذا سؤال يشبه الجبل أو سؤال مليون دولار كمايقال، ولا تملك أي طائفة إجابة عليه، ولكن بما أن أي طائفة ليست مستعدة لمنحها حتى أدنى مساحة في هويتها الطائفية، فإن رد الفعل النفسي الطبيعي للإنسان هو الانفصال عقليًا عن سؤال الهوية من أساسه أولاً. ثم تتحول هذه اللامبالاة ثانياً إلى كراهية لحالة الدين المزعومة وأخلاق المجتمع الديني، والمرحلة التالية من ذلك هي الإلحاد. وعلى هذا فإن أسباب الإلحاد وكما تكمن في البيئة الخارجية والعالم الحديث،

بقدر ذلك تكمن أيضا في الإصرار على التفسيرات الطائفية والسلوكيات الدينية. وهذه المواقف والسلوكيات، التي تهدف إلى حماية الهويات الدينية، تتسبب في الواقع في تدمير الأساس ذاته (أي التمسك بدين المرء) الذي يمكن أن تبنى عليه أي هوية دينية.

هذا ما عندي، والله أعلم.

(مترجمة من الأردية، نقلها إلى العربية: د.غطريف شهباز الندوي)

المحادثة: محمد حسن إلياس
التدوين والترتيب: شاهد رضا

أسباب الضلال الفكري

الحلقة الثانية

[مقتطف ومستفاد من محاضرة الأستاذ محمد حسن إلياس مدير البحث والاتصال مركز غامدي للتعلم الإسلامي المورد الأمريكة، والتي ألقيت خلال زيارته إلى البحرين في عام2022 م.]

وثانياً. التعرض للمتشابهات

فقد علمنا من القرآن أن الدين الذي أعطانا الله يشتمل أساسيا على جزئين: المحكمات والمتشابهات.

والآيات المحكمات هي آيات واضحة لا لبس فيها ولا خفاء. وهي تستند إلى المعتقدات الأساسية للدين وأحكام الشريعة الإسلامية والمبادئ الأخلاقية. لا يوجد تعقيد أو غموض في معانيها ومضامينها ودلالاتها وهذه الآيات هي الجزء الرئيسي للدين. من ناحية أخرى، فإن المتشابهات هي آيات وإن كانت معناها أيضًا ثابت معين، لكنها تحتوي على حقائق لا يستطيع عقلنا وحواسنا فهمها وإدراكها بالكامل ولن يكون تحقيقها الحقيقي ممكناً إلا في الآخرة. ولماذا ذلك؟ لأن نطاق معرفة الإنسان متعين ومحدود. فلا يكتسب الإنسان المعرفة إلا من خلال التحصيلات الخارجية والداخلية لطبيعته ونتائج التفكير والاستنتاج العقلانيّين. هذه حقيقة بديهية.

لذلك، نستمد نحن البشر علاقتنا بالحقائق من خلال أمثلة على المفاهيم الموجودة مسبقا. ويدرك عقلنا الواقع بمساعدة نفس المفردات وذخيرة الألفاظ والتجارب التي قدمتها لنا حواسنا، ولكن هناك بعض الحقائق في الكون التي لا يمكن لله أن يضعها أمامنا بنفس الطريقة التي هي عليها في الواقع ، ولكن يمكنه فقط شرحها لنا مراعاةً بمعرفتنا. على سبيل المثال، الماهية الحقيقية للجنة والجحيم، ووجود الله وصفاته، وعلامات العرش والسماء، هي أشياء لا يمكننا فهمها تماما حتى نلاحظها بأنفسنا. هذا هو السبب في أن الله يستخدم المقارنات والأمثلة لإعطائنا فهماً عموميا لها. لذلك من أجل شرح حقيقة الجنة قيل في القرآن أنه ستكون هناك أنهار متدفقة، وحدائق عطرة، وستكون هناك بركات لا يمكن للإنسان أن يتخيلها. كما قد تم إعطاء أمثلة للنار والسلاسل والماء المغلي لشرح عذاب الجحيم. وبنفس الطريقة قال الله عن نفسه:'لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ'، وهذا يعني أنه لا يمكن مساواة ذات الله سبحانه وصفاته تماما بأي شيء آخر، لأنها تتجاوز التجربة البشرية.

لذلك فإن أهم شيء في فهم القرآن هو وضع المتشابهات ضمن حدودها واعتبار المحكمات أساسا للدين. فأولئك الذين يتخبطون في أشياء غامضة باسم الدين ويؤلون القرآن حسب إرادتهم، فإنهم في الواقع يعانون من الارتباك الفكري. لهذا يحثنا القرآن مرارًا وتكرارًا على فهم الدين في ضوء أسسه الحقيقية، أي محكماته، وتجنب التكهنات غير الضرورية في مسألة المتشابهات. كما يقول الله تعالى:

هُوَ الَّذِیْٓ اَنْزَلَ عَلَیْكَ الْكِتٰبَ مِنْهُ اٰیٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتٰبِ وَاُخَرُ مُتَشٰبِهٰتٌ فَاَمَّا الَّذِیْنَ فِیْ قُلُوْبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُوْنَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَاْوِیْلِهٖ وَمَا یَعْلَمُ تَاْوِیْلَهٗٓ اِلَّا اللّٰهُ وَالرّٰسِخُوْنَ فِی الْعِلْمِ یَقُوْلُوْنَ اٰمَنَّا بِهٖ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا یَذَّكَّرُ اِلَّآ اُولُوا الْاَلْبَابِ. (آل عمران٣: ٧)

فعندما يدخل فكر ديني أو عالم في مجالات المتشابه، يجب أن يطرح على الفور السؤال عما إذا كان ذلك صحيحا علميا أم مجرد تخمين. المتشابهات هي حقائق لا يمكن للعقل البشري فهم حقيقتها بشكل كامل. لهذا السبب ينص القرآن بوضوح على أن من يتتبع ماهيتها، فإن قلوبهم زائغة وملتوية. وموقفهم

لا يقوم على البحث العلمي، بل هو نتيجة الخسارة الفكرية، لأنهم يحاولون فهم أشياء خارج نطاق الحواس والمعرفة البشرية.

وإن الاضطراب الحقيقي الذي نشأ في التقليد الصوفي هو أيضًا نتيجة لهذه الظاهرة. فإن الغوص في حقيقة الله، التي لا يمكن أن تحققها المعرفة والحواس البشرية، إنها خسارة فكرية أساسية أن نركض على خيول وفرس الخيال ونؤسس تصورات مختلفة عن الله سبحانه. يظهر هذا الاتجاه في العديد من النظريات الصوفية، حيث يبدأ الناس في البحث عن "المواجهة الحقيقية" لله و "الطرق البديلة للقرب" منه، وتقديم مفاهيم التجسيم الكوني عنه، والادعاء بأنهم رأوا الله على العرش أو التقوا به. كل هذه الأفكار ولدت من هذا الخطأ الفكري الأساسي المتمثل في أن الإنسان بدلا من العيش في دائرة معرفته قد دخل إلى المجال الذي لا نملك أي وسيلة للذهاب إليه.

فقد أوضح القرآن أن المحكمات هي الأساس الرئيسي للدين، لأنها تتكون من حجج لا لبس فيها وهي محددة. ونحن لا نعرف أين هو الله وما هي كنهه وماهيته، لذا فإن اعتبار التجارب الروحية للصوفي أو الشيخ أو المرشد مصدرا لماهية الله ليس فقط غير علمي بل مرفوض تمامًا من الناحية الدينية. فإنه من المبادئ المسلمة بها أن شخصية الله وصفاته لا يمكن أن توضع تحت استخدام التجربة البشرية، لأنه أسمى وأعلى من كل شيء آخر. وبالمثل، فإن ما يخبرنا به القرآن عن الجنة والجحيم يعتمد فقط على المقارنات والأمثلة حتى نتمكن من الحصول على فكرة عامة عنها. عندما يقول القرآن "وَفِيْهَا مَا تَشْتَهِيْهِ الْاَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْاَعْيُنُ وَاَنْتُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ"[1] فإن معناه الحقيقي وكنهه يتجاوزان فهم الإنسان. لا يمكننا أن نعرف ما هو الواقع الحقيقي للفردوس وفي أي حالة هي في الوقت الحالي، لأننا لم نلاحظه بأنفسنا. لهذا السبب أوضح الله هذه الحقائق من خلال الأمثلة حتى يمكن إعطاء العقل البشري وعيا عاما، لكن حقيقتها النهائية وماهيته لا يمكن إدراكها.

ونظرا لأننا لا نستطيع أن تكون لدينا معرفة كاملة بحقيقة المتشابهات، فقد

[1] الزخرف: ٧١.

أوضح القرآن أن أولئك الذين يتضللون في الدين يتشابكون في هذه المتشابهات ويبدأون في تحديد تفسيراتها وتعبيراتها ومصداقاتها التعسفيةللحقائق. لقد وصف الله هؤلاء الناس ب "الذين زاغت قلوبهم"، لأنهم يحاولون خلق الشكوك في الدين على أساس المشتبهات. وعلى العكس من ذلك، فإن أصحاب المعرفة القوية "الراسخون في العلم" على حد تعبير القرآن لهم هم أولئك الذين يتمسكون بقوة بالمحكمات ويفهمون الدين على أساس المبادئ الواضحة، بدلًا من الركض وراء المقارنات الغامضة والأمثلة الظاهرية.

لذلك، فإن التأويل غير الضروري للمتشابهات والبحث عن واقعها يؤدي إلى ارتباك فكري. ويصف القرآن هذه الطريقة بأنها طريقة تفكير أولئك الذين انحرفت قلوبهم. ولذا من أجل فهم الدين النزاهة الأكاديمية تتطلب التركيز على المحكمات، في حين أن ملاحقة المتشابهات والانغماس في التفسير والتكهنات غير الضرورية لها ليس سوى تعزيز لتقليد علمي غير أصيل وتخميني.

(مترجمة من الأردية) (يُتبع)

بقلم: أ. د/عرفان شهزاد
صاغه بالعربية: عثمان فاروق

فكر الأستاذ غامدي: مراجعة لبعض الاعتراضات

وصف الأستاذ غامدي القرآن الكريم بأنه "قصة إنذار الرسول" من حيث موضوعه. وقد وجّه اعتراض على هذا الرأي، حيث رئي أن اعتبار القرآن كتابًا تاريخيًا محضًا يضعف من عالميته، ويحصره في نطاق الروايات التاريخية (أساطير الأولين)، مما قد يجعل القارئ العادي غير قادر على الشعور بارتباطه به، إذ لا يجد فيه خطابًا موجّهًا إليه بشكل مباشر.

يعود هذا الاعتراض إلى الخلط بين موضوع القرآن ومضمونه. فموضوعه يتمثل في الهداية الإلهية الشاملة والإنذار بالآخرة، بينما جاء مضمونه في سياق سرد إنذار الرسول. وهذه الخاصية تمثل حقيقة واقعية، إذ إن عناية المفسرين بروايات أسباب النزول تؤكد البعد التاريخي للقرآن وتبرز ارتباطه بالأحداث التي نزل فيها.

إذا تأملنا عبارة "قصة إنذار الرسول" بكاملها، بدلًا من التركيز على كلمة "قصة" وحدها، فستتضح الفكرة بوضوح. فالقرآن ليس مجرد سرد تاريخي، ولا يقتصر على عرض سيرة الرسول، بل هو في جوهره تجسيد لمسيرة الإنذار الإلهي. فهو "قصة إنذار الرسول" التي تتوجه بدعوته إلى مختلف فئات البشر، وفي سياقها تتجلّى تعاليم الدين وأحكام الشريعة

أن القرآن هو "قصة إنذار الرسول"، فهو ليس مجرد سيرة ذاتية ولا سجلًّا

تاريخيًا، بل هو تجسيد حي لمسيرة الدعوة الإلهية. جاء الرسول حاملاً رسالةً عالمية، فوثّق القرآن تفاصيل رحلته في تبليغها، متتبعًا جهوده، والصعوبات التي واجهها، ومواقف الناس بين الإيمان والجحود.

وفي ثنايا هذه القصة، نرى كيف أدّى الرسول أمانته بأعلى درجات الإخلاص، وكيف تباينت استجابات الناس لدعوته؛ فمنهم من آمن وسلك درب التزكية والتهذيب حتى نال رضا الله، ومنهم من قامت عليهم الحجة فكفروا واستحقوا العقاب. كما يعرض القرآن كيف نزلت التعاليم الإلهية وفق منهج تربوي متدرج، وكيف صبر المؤمنون على الابتلاء، فلجؤوا إلى الله في الشدائد، وشكروه عند الفتح، وتلقّوا التوجيه عند الخطأ، فتابوا وأصلحوا أنفسهم، فنالوا المغفرة والرحمة.

وعلى النقيض، يصوّر القرآن أحوال المعرضين عن الحق، الذين انساقوا خلف أهوائهم ومصالحهم، وأعماهم التعصب، فتمادوا في العداء، وارتدوا قناع النفاق حتى انكشفت حقيقتهم، واستحقوا الجزاء العادل. وكأننا أمام محكمة إلهية، تُوزن فيها الأعمال، وتُحكم فيها المصائر بعدل الله المطلق.

وبذلك، فالقرآن ليس مجرد كتاب في الأخلاق والتشريع، بل هو كتاب حي نابض بالحياة، لا ينقل التعاليم الدينية بأسلوب نظري مجرد، بل يعرضها مجسدةً في مشاهد حية وتجارب إنسانية، تقرّبها من الواقع، وتمنحها بُعدًا عمليًا. فهو لا يقدّم للقارئ الدين فقط، بل يظهر له نماذج واقعية لتطبيقه، تلامس أعماق النفس البشرية، مما يجعله متصلاً بكل فرد، ويجعل طريقته في ترسيخ الدين أكثر تأثيرًا وفاعلية.

تكشف قصة إنذار الرسول كيف تجلّى تدخل الله بوضوح في تلك المرحلة، حيث تحققت وعوده وتجلّت تحدياته، فكانت شاهدًا قاطعًا على وجوده ووحدانيته وحتمية يوم القيامة. وقد حفظت هذه الوقائع في كتاب خالد، ليبقى حجةً قائمةً على مر العصور، يذكّر البشرية بأن لهذا الكون إلهًا واحدًا وضع لها منهجًا، وسيحاسبها عليه يوم القيامة، تمامًا كما أقام ميزان العدل في الدنيا على أمة من الأمم، ليكون ذلك برهانًا لا يدحض على سننه وحكمته وعدله المطلق.

ذكر الأستاذ غامدي في مقدمة تفسيره "البيان" أن القرآن، من حيث مضمونه، هو قصة إنذار الرسول"، كما أوضح:

"إن المحكمة الإلهية التي تجلّت في أرض العرب ببعثة النبي ﷺ قد سجّلها القرآن بدقة وإحكام، وظلّت محفوظة فيه إلى الأبد. من هذا المنظور، يثبت القرآن في أعلى درجات اليقين هذه القضية الأساسية للدين، وهي أن محكمة الله ستقام يومًا ما على العالم بأسره بنفس الطريقة." (البيان، ١٤/١)

هذا هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الدين، والدافع الذي يحفّز الفرد على الالتزام به. فمتى ترسّخ في قلبه اليقين بالمحاسبة في الآخرة، تولّدت لديه الحاجة إلى تزكية نفسه. وهنا يوضح القرآن أن هذه التزكية تتحقق باتباع النهج ذاته الذي سار عليه السابقون، حين طبقوا تعاليم هذا الدين والتزموا بها.

على عكس أي سيرة عادية، فإن عنوان "قصة إنذار الرسول" لا يعني أن التوجيهات والأحكام الواردة فيها مقيدة بزمانها فحسب، ولا ينبغي أن يثير ذلك أي قلق بشأن تعميمها. فالرسول جاء برسالة إلهية موجهة إلى جميع البشر، مما يجعل كل ما ورد في قصته محتملًا لأن يكون عامًا، ما لم يثبت تخصيصه بمخاطبي ذلك العصر. ولهذا، من الضروري التمييز بين ما هو خاص بأهل زمانه في سياق الإنذار النبوي، وما يبقى صالحًا لكل زمان ومكان.

وقد قام الأستاذ غامدي بتحديد الأحكام التي اختصت بزمن الرسالة كنتيجة لقانون الرسالة وقانون الإتمام الحجة، مما يزيل أي التباس أو خلط في هذا الشأن. وبهذا، لا يبقى مجال للادعاء بأن هناك محاولة لتحنيط الدين أو تجميده في حقبة تاريخية معينة، إذ إن المنهجية المتبعة تضمن بقاء تعاليمه حية وفاعلة على مر العصور.

هذه قائمة بالأحكام الخاصة التي تم تمييزها وتوضيحها:

١- حكم القتال مع قوم الرسول: لم يكن القتال ضد قوم الرسول حربًا تقليدية، بل كان عقوبة إلهية أنزلت عليهم بعد أن أتم الرسول الحجة عليهم. لذلك، لا يحق للمسلمين عمومًا استخدام القوة ضد أي قوم يرفضون الإسلام بعد تبليغه لهم. ومع ذلك، يبقى الجهاد ضد الظلم والعدوان واجبًا عامًا، لأن

علته، وهي مقاومة الظلم، غير مقيدة بزمن معين.

٢- قطع العلاقات مع الكفار بعد إتمام الحجة: بعد أن أتم الرسول الحجة، تم إنهاء جميع العلاقات والمعاهدات مع الكفار، وكان منع المسلمين من موالاة الكفار وأهل الكتاب نتيجة طبيعية لهذه القطيعة. ومع ذلك، لا يوجد في الإسلام حكم عام يمنع إقامة علاقات صداقة أو تعامل حسن مع غير المسلمين بوجه عام.

٣- التفريق بين شهادة المسلم وغير المسلم: كان التفريق في قبول الشهادة بين المسلم وغير المسلم في زمن الرسالة مرتبطًا بمقاطعة منكري الحق بعد إتمام الحجة عليهم. لكن مع زوال العلة التي استدعت هذا الحكم، لم يعد هناك ما يوجب التمسك به في الوقت الحاضر.

٤- التفريق بين الزوج المسلم والزوجة غير المسلمة: في عهد النبوة، فرّق بين الزوج المسلم وزوجته غير المسلمة نتيجةً للقطيعة ذاتها التي فرضت بعد إتمام الحجة، ولا يمكن اعتبار ذلك حكمًا عامًا ثابتًا يمتد ليشمل جميع الأزمنة والظروف.

٥- منع التوارث بين المسلمين وغير المسلمين: لم يكن المسلم وغير المسلم يتوارثان في زمن الرسول، وكان ذلك جزءًا من إجراءات القطيعة نفسها. ولكن باعتبار أن هذا الحكم كان مرتبطًا بظروف محددة، فلا يمكن اعتباره مبدأً عامًا ثابتًا في كل الأحوال.

٦- حكم الردة: لم يكن الارتداد عن الإسلام جريمة مستقلة، بل كان يُعد صورة من صور الكفر، وعقوبة الكفر للمشركين كما وردت في سورة التوبة كانت القتل. لذلك، طُبقت العقوبة نفسها على المرتدين في ذلك السياق، لكنه حكم خاص بزمنه، ولا يعني بالضرورة سريانه في جميع العصور والأحوال.

من المهم الإشارة إلى أن الأستاذ غامدي يتبنى الفهم الذي كان سائدًا لدى الصحابة والعلماء المتقدمين فيما يخص خصوصية حجاب أمهات المؤمنين. وقد ظهر رأي تعميم الحجاب في عصور لاحقة. أما آية الجلباب، فهي لا ترتبط بقانون الرسالة أو قانون إتمام الحجة، كما قد يظن بعض النقاد، وإنما تقوم على دلالة

لغوية واضحة. فقد بيَّن القرآن أن العلة في الأمر بتغطية الجسد كانت دفع أذى الفساق، وهو تعليل صرّح به الله تعالى في النص القرآني. وبناءً على ذلك، فإن هذا الحكم يُفهم في سياق تلك الظروف أو ما يشابهها، ولا يعد توجيهًا عامًا لكل الأحوال.

التمييز بين الأحكام العامة والخاصة

التفريق بين الأحكام العامة والخاصة في سرد الأستاذ غامدي ليس اجتهادًا غير منضبط أو اختيارًا عشوائيًا، بل هو عملية علمية دقيقة تستند إلى مبادئ واضحة تتعلق بدلالة الألفاظ، وعلل الأحكام، وطبيعة تطبيقاتها المختلفة. وقد شرح هذه المنهجية تفصيلًا في كتبه ومحاضراته، مما يزيل أي لبس أو خلط حول هذا الموضوع.

عندما يقال للقارئ العادي إن القرآن لا يخاطبه مباشرة، بل يتوجه أولًا إلى المخاطَبين الأوائل عبر سرد تاريخي لأحداث الرسالة، فقد يشعر بشيء من الإحباط. ومع ذلك، فإن اعتبار المرء نفسه المخاطب المباشر بكل آية قد يؤدي إلى استنتاجات خاطئة، بل وربما إلى تصورات بعيدة عن الحقيقة.

فعلى سبيل المثال، عندما يقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"، فإن هذا النداء يشمل الصحابة المخلصين، كما يشمل المؤمنين ضعيفي الإيمان، بل وحتى المنافقين الذين تظاهروا بالإسلام. فإذا اعتقد القارئ العادي أنه المخاطَب في كل مرة، فقد يجد نفسه في حيرة بين معاني النصوص المختلفة وتطبيقها على واقعه.

وبالمثل، حين يخبر الله نبيه بأنه سينتصر على أعدائه وسيعلو دينه في جزيرة العرب، وحين يبشر الصحابة بالنصر والتمكين والخلافة، فقد يخطئ المسلم العادي حين يظن أن هذه الوعود تخصه هو أيضًا. وربما يدفعه هذا التصور إلى الدخول في صراعات غير متكافئة، متوقعًا أن تتكرر معجزات الماضي، وعندما يواجه الفشل، يجد نفسه في أزمة بين الشك في إيمانه والتساؤل عن تحقق وعود الله.

ومن الأمثلة الأخرى، أن الله يطمئن نبيه بأن العسر يعقبه اليسر، وهو وعد تحقق في سياق النبوة. لكن البعض يطبّق هذه الآية على مشكلاته الشخصية،

كالأزمات المالية، متوقعًا انفراجًا حتميًا، رغم أن هذه الوعود ليست قاعدة مطلقة لكل موقف فردي.

كما أن إعلان الله بأن الحق سينتصر قد يدفع بعض المسلمين إلى الاعتقاد بأنهم سينالون العدالة حتمًا في قضاياهم، فيمضون سنوات في المحاكم بانتظار "انتصار الحق"، لكنهم قد لا يحصلون عليه، ما يجعلهم يتساءلون عن تحقق وعود القرآن في واقعهم.

وفي حالات أخرى، حين تحدى النبي منكري الحق بالمباهلة بأمر الله، قام بعض المسلمين في عصور لاحقة بتكرار هذا التحدي، لكنهم لم يشهدوا أي عقاب إلهي مباشر على خصومهم، مما زادهم حيرة وتساؤلًا.

يقدّم القرآن رسالة متكاملة من خلال سرد قصة نبي عليه الصلوة والسلام، حيث يثبت بها الحق، ويؤكّد على المساءلة في الآخرة، ويضع منهجًا واضحًا للتزكية والتطهير. غير أن هذه المعاني العميقة قد تغفل، ليحمّل القرآن والإسلام مسؤولية الإخفاق في مواجهة مشكلات الحياة الدنيا.

تصنيف العلوم الدينية في فكر الأستاذ غامدي

أثيرت بعض الاعتراضات على تصنيف العلوم الدينية في فكر الأستاذ الأستاذ غامدي، وهو تصنيف يعد محطة جوهرية في تطور العلوم، حيث يسهم في ضبط المفاهيم وتنقيح الأسس المنهجية للاستدلال. وقد كان الأستاذ غامدي دور محوري في هذا المجال، إذ أسهم في إزالة اللبس بين مختلف المكونات الدينية، وأعاد هيكلة المفاهيم وفق أسس دقيقة، مما حدّ من الخلط بين الدين والتقاليد الدينية. وقد حظيت هذه الجهود بتقدير واسع من قبل أهل العلم، الذين أدركوا أهميتها ودقتها في تنظيم الخطاب الديني وترشيد مساراته.

وقد لخّص الدكتور عمار خان ناصر أبرز نتائج هذا التصنيف في النقاط التالية:

"١- التمييز الواضح بين الدين الذي جاء به النبي ﷺ وبين العلوم والأفكار التي نشأت لاحقًا بناءً عليه، مما يحول دون رفع التقاليد الدينية إلى مرتبة الدين نفسه.

٢- إخضاع الاتجاهات الفكرية الدينية ونتائجها للنقد المستمر في ضوء المصادر الأساسية، لضمان المراجعة الموضوعية والتقويم العلمي.

٣- إعادة إحياء التمييز بين السنة المتواترة التي استقر عليها تعامل الأمة وأخبار الآحاد، مما يعزز اليقين التاريخي للأسس الدينية.

٤- وضع أطر علمية أكثر دقة للتعامل مع نص القرآن الكريم، مما يسهم في منع إقحام عناصر غير متعلقة به في تفسيره وتأويله."*

يعكس هذا التصنيف منهجًا علميًا يسعى إلى إعادة بناء الفهم الديني وفق رؤية أكثر وضوحًا ومنهجية، مع التركيز على التمييز بين الأصول الشرعية والموروثات الفكرية.

التأويل الواحد للقرآن الكريم

يقوم فكر فراهي على مبدأ التأويل الواحد للقرآن، وهو تصور يستند إلى نظم الكلام، حيث يكون لكل لفظ أو جملة معنى محدد وثابت، لا يحتمل تعدد التأويلات المتضاربة. وقد أثار هذا المبدأ اعتراض بعض النقاد، رغم أن أهمية السياق في فهم النصوص تُعدّ من المسلّمات العقلية واللغوية. يؤكد الأستاذ غامدى أن القرآن ينبغي أن يُفهم وفق هذا المنهج، كما هو الحال في أي خطاب منضبط، بحيث تتحدد مراداته بدقة. غير أن المعترضين يرون ضرورة استثناء النص الإلهي من هذا القانون اللغوي، ليبقى مفتوحًا على معانٍ غير قطعية، مما يتيح لكل شخص أن يسقط عليه تفسيره الخاص. ولو تأملنا هذا الطرح بعين الناقد، لوجدناه يعرّض كلًّا من العلم والإيمان لخطر جسيم.

إن نظم الكلام هو الدرع الذي يحمي النص القرآني من الفوضى التأويلية، ويؤكد مكانته كمرجع لفصل النزاعات الدينية. فإذا لم يكن بالإمكان استخراج معانٍ دقيقة وحاسمة منه، فإن ادعاءه الفصل بين الناس في أمر دينهم يصبح بلا معنى، وتتعطل وظيفته التشريعية والتوجيهية.

---

* رابط صفحة الفيسبوك للدكتور محمد عمار خان لنشر محل الدراسة

/https://www.facebook.com/share/p/19Czoz6E2g

لطالما اعتمد علماء التفسير، عند مواجهة تعدد الدلالات، على معايير علمية دقيقة لترجيح أحدها، ولم يتركوا المسألة مفتوحة بلا ضوابط. وهذا بالضبط ما يؤكد عليه فكر الأستاذ غامدي، حيث يبنى التأويل على أسس نظم الكلام والقواعد اللغوية القطعية للوصول إلى الفهم الصحيح. ومع ذلك، تبقى إمكانية الخطأ واردة، لكن حتى في هذه الحالة، لا يكون أي تأويل آخر مقبولًا إلا إذا استند إلى المنهج ذاته. فالتأويل، في نهاية المطاف، لا بد أن يكون واحدًا، وإلا فقد النص دلالته وتحول إلى ساحة تأويلات لا نهاية لها.

القطع في نتائج الفكر

يثار اعتراض على الأستاذ غامدي بأنه يقدّم أدلته ونتائجه بأسلوب يتسم بالجزم والقطع، وكأنها حقائق مطلقة لا تحتمل المراجعة أو النقاش. غير أن الواقع يكشف أن اليقين الذي يعبر عنه لا يخرج عن إطار الاحتمال المعرفي الذي يراعيه كل باحثٍ ملتزمٍ بالمنهج العلمي، حيث تستند استنتاجاته إلى أسس علمية ومنهجية دقيقة.

ولو نظرنا بإنصاف، لوجدنا أن هذا القطع واليقين، الذي ينتقد عليه الأستاذ غامدي، هو في الحقيقة سمة مشتركة بين جميع أهل العلم. بل إن ناقديه أنفسهم لا يخلو خطابهم من الجزم بآرائهم، مما يجعل هذا الاعتراض، في حقيقته، غير موضوعي.

العلاقة بين الدين والفرد والمجتمع

تثار تساؤلات حول رؤية الأستاذ غامدي للعلاقة بين الفرد والمجتمع، حيث لا ينظر إلى الفرد بوصفه كيانًا مستقلًا، بل باعتباره جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي، فالمجتمع في جوهره ليس إلا تجمعًا للأفراد المتفاعلين فيما بينهم. وعندما يتشكل المجتمع، تصبح الأحكام الشرعية ذات البعد الاجتماعي موجهة إليه، كما هو موضح في كتاب الأستاذ غامدي "الميزان"، ضمن فصول "قانون السياسة"، "قانون الجهاد"، و"قانون الاقتصاد" وغيرها.

وفقًا لهذا المنظور، يبدأ الدين بالفرد لينعكس أثره على المجتمع، وليس

العكس، أي أنه لا يفرض على الأفراد من خلال المجتمع أو عبر أدوات السلطة. وبناءً على ذلك، لا يمكن، وفق هذه الرؤية، تسخير سلطة الدولة لإجبار الرجال على إعفاء اللحى أو النساء على ارتداء الحجاب، لأن الالتزام بالتشريعات الدينية ينبغي أن يكون نابعًا من إرادة حرة وإيمان داخلي، لا من فرضٍ سلطوي أو إكراه اجتماعي.

موقف الأستاذ غامدي من الهيمنة السياسية للمسلمين

يطرح اعتراض على فكر الأستاذ غامدي مفاده أنه لا يؤيد سعي المسلمين إلى الهيمنة السياسية عالميًا. غير أن موقفه في هذا الشأن واضح؛ فهو يرى أن المسلمين، إن أرادوا تشكيل تكتلٍ سياسي يضمن لهم مكانة مرموقة بين الأمم، فذلك أمرٌ مشروع من حيث كونه خيارًا سياسيًا. لكن الإشكال ينشأ عندما يضفى على هذه الرغبة طابع الوجوب الديني، إذ لا يوجد في النصوص الشرعية ما يلزم المسلمين بالسعي إلى إقامة هيمنة سياسية. فالدين لم يجعل ذلك جزءًا من التكاليف الشرعية، وقد تناول غامدى هذه المسألة بالنقد والتوضيح المفصّل.

أما فيما يتعلق بالمسلمين الذين يواجهون الاضطهاد، فإن غامدى ينصحهم بفهم الواقع الجيوسياسي إدراكًا عميقًا، إذ لا يمكنهم مواجهة قوى تفوقهم عتادًا وعددًا بالوسائل العسكرية وحدها، كما أن الدول الإسلامية الأخرى لا تملك القدرة ولا الإرادة لتقديم دعم حقيقي لهم. في ظل هذه الحقائق، فإن الخيار الأكثر حكمةً هو تبنّي النضال السلمي، والتركيز على التقدم العلمي والاقتصادي، مع تجنب الانجرار إلى صراعات مدمرة لا تؤدي إلا إلى مزيد من التدهور والمعاناة.

يودّ الأستاذ غامدي أيضًا أن يرى المسلمين في عزّة وكرامة، لكنّه يعتقد بأن الطريق إلى ذلك يمرّ عبر العلم والسّلم، لا عبر دروب الحروب والدماء.

دكتور فاضل صالح السامرائي

لمسات بيانية في الإسراء والمعراج

الحلقة الثانية والأخيرة

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدارسين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعّالة والموثوقة.وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

(إضافة للدكتور فاضل)

أولاً لما قال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ هذا يدل على القدرة، لو قال إنه على كل شيء قدير لم يزد على المعنى المفهوم في الآية، يعني لو قال إنه على كل شيء قدير هذا مفهوم مما مضى، لكنه أفادنا معنى آخر استدعى السؤال. لو قال إنه على كل شيء قدير لم تضف شيئاً إلا التأكيد أو التبيين لكن هنا أضاف شيئاً. أولاً قال ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ إذن ربنا سبحانه وتعالى أسرى بعبده ليرى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ويسمع أشياء لم يكن يراها ويسمعها فربنا يريه ما يرى ويسمعه ما يسمع. وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يرى ما يراه ربه ويسمع ما يسمعه ربه.

الأمر الآخر أن هذه متعلقة بخاتمة السورة وبسياق السورة، مرة ذكرنا أن بداية السورة لها علاقة بخاتمة السورة، كل السور مفتتحها له علاقة بأواخرها. في خواتيم السورة قال (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ

لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) ﴿يخرون للأذقان سجداً﴾ هذه بحاجة إلى بصر و ﴿يقولون﴾ محتاجة إلى سمع، هذه مستلزمات السميع البصير. قال (قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى (١١٠) هذه محتاجة إلى سمع فالذي يدعو يحتاج إلى أن تسمعه. (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا (١١٠) الصلاة حركات وأقوال، فإذن هذا كله يتعلق بالسمع والبصر. (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ (١١١) الذي ينبغي أن يقول يسمعه ربه، فإذن هذه متعلقة بخاتمة السورة أيضاً وما ذكر في أول السورة من إفساد بني إسرائيل (لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا (٥) هذا يحتاج إلى سمع وإلى بصر ماذا يفعل هؤلاء ويبعث عليهم عباداً يرى ويسمع ما يفعل هؤلاء، إذن هي متعلقة بها.

أما السميع العليم، السميع لا يقتضي الإبصار قد يعلم واحد عن طريق آخر أما البصر فهو يبصر ويرى. المسؤول يعلم عن الموظفين كثير لكن قد لا يعرفهم أصلاً ولا يبصرهم. لكن السميع البصير أقرب وأظهر في العلم.

لكن هل هنالك مسألة توأمة لغوية أو دلالية بيانية بين خواتيم الآيات أو فواصل الآيات وصدر الآيات؟ ما الرابط هنا الرسول يُسرى به ليُرى من آيات الله ثم يقول إنه هو السميع البصير؟ نعم. ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ إذن تحتاج إلى رؤية، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يرى ما يراه ربه، ربنا يرى الآيات حتى يراها النبي. نلاحظ ماذا ذكر في الآية، ذكر جملة من الصفات: الحياة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ معناها حيّ، القدرة، الحكمة ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ هذه لعلّة، والسمع والبصر، ذكر كل هذه الأشياء الحياة والقدرة والسمع والبصر، هذه متعلقات الألوهية وهذه أصلاً تعريض بما يعبده هؤلاء الذين ليس لهم قدرة ولا معرفة ولا سمع ولا بصر، ذكر متطلبات الألوهية كلها القدرة والحكمة والسمع والبصر أما آلهتهم فلا تسمع ولا تبصر. الإسراء كان في الليل وأداة الليل هي السمع فقدّم السمع ، السمع هو المناسب. قدّم السمع على البصر لأن من يسمعك أقرب ممن يبصرك ففيها تطمين للرسول. هل الذي يسمع أقرب أم الذي يبصر أقرب؟ قد تسمع الإنسان على بعد لكن لا تبصره. لا، الذي يسمع أقرب.

أنت تبصر النجوم لكن لا تسمع حركاتها، أنت تبصر من بعيد لكن لا تسمع ماذا يقول. السمع أقرب (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى .طه: ٤٦) إشعار بالطمأنينة والحفظ لأن قد تبصر أناساً بعيدين لكن لا تسمع أصواتهم لأن مدى السمع أقل من مدى البصر. أوأن الله سبحانه وتعالى سميع بصير بما يصنع المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وإيذائهم له؟ قالوا هذا أيضاً قالوا وعيد للكفار وتكذيبهم أن الله يسمع ما يقولون ويبصر ما يفعلون، ذكر هذا المفسرون. هي جملة أمور لو قال على كل شيء قدير لا تؤدي هذه المعاني.أضافت معنى جديد، معنى آخر.

سؤال: ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

(د.فاضل السامرائي): التسبيح هو التنزيه عما لا يليق، أصل التسبيح هو التنزيه ﴿سبّح لله﴾ أي نزّهه هؤلاء كلهم بما نفقه وبما لا نفقه من تسبيحهم (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا الإسراء:٤٤) الطير تسبّح والأشجار تسبّح وكل شيء يسبح (وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (الرعد: ١٥) لا نفقه تسبيحها. التسبيح هو التنزيه عن كل ما لا يليق، عن كل نقص، أن تقول لله ولد أو تشبهه بخلقه أو أي شيء لا يليق بذاته. التسبيح ورد في صور شتّى: ورد التسبيح بالفعل الماضي ﴿سبّح﴾ وورد بالفعل المضارع ﴿يسبح﴾ وورد بفعل الأمر ﴿فسبِّح﴾ ﴿سبِّح اسم ربك﴾ وورد بإسم المصدر ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ كل هذا ورد فيه، لماذا؟ سبّح للزمن الماضي، يسبح مضارع للحال والاستقبال (المضارع للاستقبال كما في قوله تعالى (إن الله يفصل بينهم) هذا في يوم القيامة) حتى أن بعض النحاة قالوا هو للإستقبال أولاً ثم للحال. ﴿سبِّح﴾ الأمر وهو يدل على أن تبدأ به وتستمر، سبحان إسم مصدر. إسم المصدر قريب من المصدر، سبحان معناه علمٌ على التنزيه.نلاحظ أن الفعل مرتبط بزمن وبفاعل حتى يكون فعلاً، المصدر هو الحدث المجرّد الذي ليس له زمن ولا فاعل. إذن صار التنزيه إستغراق الزمن الماضي ﴿سبح﴾ والحال والمستقبل ﴿يسبح﴾ والأمر بالتسبيح ومداومته ﴿سبّح﴾ وسبحان التسبيح وإن لم يكن هناك من لم يسبح في السموات والأرض قبل الزمان وبعد الزمان إن

كان أحد أو لم يكن فهو يستحق التنزيه سبحانه سواء كان هناك من يسبح بفاعل أو بدون فاعل فاستغرق جميع الأزمنة وقبل الأزمنة وبعد الأزمنة واستغرق الخلق وما قبل الخلق وما بعد الخلق. ليس هذا فقط إنما لاحظ كيف ورد التسبيح؟ ورد التسبيح ﴿سبِّح اسم ربك الأعلى﴾ ذكر الإسم، و(سبّحوه بكرة وأصيلا) لم يذكر الإسم وذكر المفعول به مباشرة، (سبّحه) ﴿سبِّح اسم ربك الأعلى﴾ متعدي وسبّح بإسمه متعدي بالباء، متعدي بنفسه والتعدية بالإسم وبالحمد ﴿فسبح بحمد ربك﴾، ﴿سبّح﴾ هو في الأصل فعل متعدي. الفعل اللازم هو الذي يكتفي بفاعله ولا يأخذ مفعول به مثل ذهب ومشى ونام، الفعل المتعدي يتعدى إلى مفعول به مثل أعطى، وأحياناً يستعمل المتعدي كاللازم بحسب الحاجة مثلاً أحياناً يكون متعدياً إلى مفعوليم أو يذكر مفعولاً واحداً مثلاً (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (الضحى:٥) ماذا يعطيك؟ أطلق العطاء ولم يقيّده بأمر معيّن.

وقالوا يستعمل إستعمال اللازم كما في قوله تعالى (حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (التوبة:٢٩) وأحياناً لا يذكر المفعول به أصلاً (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (يونس:٦٧) ﴿يفقهون﴾ فعل سمع متعدي (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (النمل:٥٢) علم تأخذ مفعولين ما ذكرها لأنه أراد الفعل بالذات ولم يُرِد المتعلق. قد نستعمل المتعدي كاللازم نريد الفعل وليس مرتبطاً بالمفعول به كما تقول مثلاً: فلان يعطي ويمنع، ماذا يعطي؟ وماذا يمنع؟ (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (طه:٤٦) هو يسمع ويرى ولا يقيّد بشيء معين.

سؤال: بخصوص اللغة ما الفرق بين قوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً. الإسراء:١) وقول سبحان من أسرى بعبده ليلاً؟ مع أن ﴿الذي﴾ و﴿من﴾ إسم موصول؟

(د.فاضل السامرائي): الإسم الموصول قسمان، قسم نسميه مختص ويسمونه أيضاً نصّ، وقسم يسموه مشترك. مختص يعني الذي للمفرد المذكر، التي للمفرد المؤنث، اللذان مثنى مذكر، اللتان مثنى مؤنث، والمشترك مثل ﴿من﴾ للمفرد المذكر والمؤنث والمثنى والجمع كلها، من حضر، من حضرت، من حضرا، من حضرتا، من حضروا، مذكر ومؤنث ومفرد ومثنى وجمع. وعندهم قاعدة المختص هو

أعرف من المشترك فجاء ربنا بالإسم الأعرف ﴿الذي﴾ هذا واحد. ﴿من﴾ قد تكون نكرة أصلاً، ﴿من﴾ قد تأتي نكرة من النكرات مثلاً: هل من يساعدني؟ هل من يعينني؟ لا نقول أين الذي يساعدني؟ هذا محدد. رب من تساعده لا يعرف لك الفضل، هذه نكرة، ﴿من﴾ تأتي نكرة و﴿الذي﴾ لا تأتي نكرة. هنالك خلاف إذن، ليس لأن كلاهما إسم موصول هذا يعتور مكان هذا؟ لا، أولاً إذا كان إسم موصول هذا مختص وهذا مشترك وهذا أعرف و﴿من﴾ تخرج أصلاً تأتي نكرة (مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ . آل عمران:٧٥) هذه عامة. خارج القرآن نقول عزّ مَن قائل أو عزّ مِن قائل؟ نقول عزّ مِن قائل. يعني عزّ قائلاً، هذه على التمييز أصلها التمييز عزّ قائلاً. لأن التمييز إسم بمعنى ﴿من﴾ مبين نكرة، يعني خاتم من ذهب وخاتم ذهباً، لله درّه من فارس، لله دره فارساً.

سؤال: ما دلاله وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد فى قوله تعالى ﴿بعبده﴾؟

(د.فاضل السامرائي): اختار كلمة عبد وأضافه إلى ضميره الإنسان لما يقول عن نفسه أنا عبد الله هذا تواضع والله تعالى لما يقولها عن عبد يكون تكريماً وهذا فيه تكريمان: الأول إختيار كلمة ﴿عبد﴾ لأن الله تعالى في القرآن الكريم لما يذكر ﴿عبد﴾ يذكره في مقام التكريم لأن العبودية نوعان في القرآن الكريم: العبودية الإختيارية والعبودية القسرية. العبودية الإختيارية هي أن الإنسان يختار أن يكون عبداً لله مطيعاً له وبهذا يتفاضل المؤمنون. ففي مقام مدح نوح قال تعالى (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (الإسراء:٣) أثنى على نوح وصفه بالعبودية. وقال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً الإسراء:١) وصفه بالعبودية (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا . الجن:١٩).

أما العبودية القسرية فليس فيها فضل لأنه رغم عن الإنسان نحن كلنا عباد الله شئنا أم أبينا (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. مريم:٩٣) عبادة قسرية رغماً عنا، الله تعالى يرزقنا ويختار لنا المكان الذي نولد فيه ويختار الأبوين ويعطينا إمكانيات ونعيش في السنن التي وضعها لا نتجاوزها هذه عبادة قسرية شئنا أم أبينا ليس فيها فضل وكل الناس هكذا (أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ . الفرقان:١٧) هذه عبودية قسرية ليس فيها فضل

وقمة العبودية هي العبودية الإختيارية وحتى الأنبياء يتفاضلون في عبوديتهم لله سبحانه وتعالى (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . ص:٣٠). فكلمة عبد وسام للشخص من الله تعالى فإذا أضافها إلى ضميره ﴿عبده﴾ نسبه إليه إذن فيها تكريمان لأنه لما ينتسب العبد إلى الله تعالى يكون في حمايته. ولذلك لاحظ يقولون لما قال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ لما ذكر كلمة عبد عرج به إلى السموات العلى وإلى سدرة المنتهى ولما ذكر موسى بإسمه قال (وَخَرَّ موسَى صَعِقًا. (الأعراف:١٤٣) إذن وكأن مقام العبودية عند الله سبحانه وتعالى مقام عظيم.

سؤال: السُرى هو السفر ليلاً فما دلالة ذكر ﴿ليلاً﴾ في آية الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً (١)؟

(د.فاضل السامرائي): في الحلقة الماضية تعرضنا إلى أن هناك ظرف مؤكد وظرف مؤسس. الظرف المؤسس يعطيك معلومة جديدة لم تستفدها من الجملة السابقة للظرف كأن تقول سافرت يوم الجمعة، يوم الجمعة لم تستفدها إلا بعد أن ذكرت الظرف. أولاً ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ ليلاً: ظرف مؤكد لأن الإسراء لا يكون إلا بالليل. والتوكيد في الظروف وغير الظروف أسلوب عربي وجائز. في الصفات كقوله تعالى (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (الحاقة:١٣) هي نفخة واحدة وقال تعالى (وَقَالَ اللهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ (النحل:٥١) الإلهين يعني اثنين. إذن عندنا تأسيس وتأكيد في الحال والصفات والظروف. إذن ليلاً هو ظرف مؤكد، هذا أمر.

والأمر الآخر أن كلمة ليلاً أفادت معنى آخر غير كونها ظرف مؤكد وهو أن الإسراء تم في جزء من الليل. لما تقول سافرت ليلاً أي سافرت في هذا الوقت لا يعني أنك قضيت الليل كله لكن لما تقول سافرت الليل أي قضيت كل الليل سفراً. عندما تأتي بالألف واللام سافرت الليل أو الليل والنهار أو مشيت الليل والنهار أي كله لأن هذا جواب ﴿كم؟﴾. لما تقول سافرت ليلاً فهو توقيت وجواب عن متى؟ قد تكون سافرت في جزء منه، أما لما تقول سافرت الليل تكون قد استغرقته كله كما في قوله تعالى (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (الأنبياء:٢٠) هذا يستغرق استغراقاً لا يفترون. ﴿ليلاً﴾ أفاد أن هذه الحادثة كلها،

الإسراء تم في جزء من الليل وهذا دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى أن تستغرق الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى التي تستغرق شهوراً والمعراج وما فيه كل هذا في جزء من الليل. إذن كلمة ليلاً أفادت معنيين الأول أنها ظرف مؤكد للإسراء والأمر الآخر أن هذه الحادثة استغرقت جزءاً من الليل. ﴿أسرى بعبده﴾ كم استغرق؟ لا نعلم. كلمة أسرى وحدها لا تدل على جزء محدد من الليل، الإسراء هو المشي بالليل فقط ولو لم يقل ليلاً لما دل على أن هذا تم في جزء من الليل. فكلمة ليلاً إذن أفادت أمرين الظرف المؤكد وأن هذه الحادثة لم تستغرق إلا جزءاً من الليل.

لا توجد كلمة زائدة في القرآن أو حشو وإنما كل كلمة لها دلالة في القرآن يقولون حرف جر زائد وهذا مصطلح لا يعنون به الزيادة التي ليس لها فائدة وإنما وقوعها بين العامل والمعمول لغرض وهو الزيادة للتوكيد كما في قوله ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾، هو من حيث وقوعها بين العامل والمعمول تسمى زيادة فهذا مصطلح والمعنى العام هو باقٍ لكن وقعت بين العامل والمعمول وأكّدت والتأكيد أمر موجود في اللغة وقد يستدعي السياق التأكيد فكلمة زائدة عند النُحاة لا تعني أنه ليس لها فائدة، هذا قطعاً ليس هو المقصود وإنما في الغالب تفيد التوكيد وأقول في الغالب لأنه قد تفيد الزيادة شيئاً آخر غير التوكيد.

سؤال: الإسراء من – إلى، ألا يقتضي المنطق أن الظرف يأتي بعد ﴿من – إلى﴾ يعني أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلاً؟

(د.فاضل السامرائي): العامل هو أصلاً متقدم ﴿أسرى﴾ وبعبده وليلاً متعلقة بهذا العامل وهي معمولات لهذا العامل. يبقى الترتيب لما هو أهمّ: بدأ بالزمان ﴿ليلاً﴾ ثم المكان ﴿من المسجد الحرام﴾ كلها حصلت في جزء من الليل وهذا أمر مستغرب أنه من هذا المكان إلى ذلك المكان أن يكون في جزء من الليل، ليس مستغرباً أن تذهب من هذا المكان إلى ذلك المكان لكن المستغرب والمستبعد أن يتم ذلك في جزء من الليل لذلك هم قالوا نضرب إليها أكباد الإبل ستة أشهر ذهاباً ومجيئاً. هم لم يستغربوا من الذهاب والإياب لأنهم يذهبون ويأوبون ولكن استغربوا من الاستغراق للوقت فقط. لو لم يقل ليلاً لما فهمنا

أنه تم في جزء من الليل.

سؤال: هل نقول المعراج أو العروج؟ المعراج هو الآلة والعروج هو المصدر، هو الحدث. نقول الإسراء والمعراج. ما دلالة كلمة ﴿ليلا ﴾؟

(د.فاضل السامرائي): قال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) والتوكيد باب كبير في اللغة وليس هناك باب لا يدخل فيه التوكيد مثلاً التوكيد بالجار والمجرور كما في قوله تعالى ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ المعلوم أن الطائر يطير بجناحيه ومع هذا جاءت كلمة بجناحيه للتوكيد, والظرف المؤكّد كما في قوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ الإسراء يكون ليلاً .

السؤال: ما دلالة كلمة ﴿لنريه﴾ في سورة الإسراء؟

د.فاضل السامرائي): قد يحتمل المعنى أن الرسول أُعطي الرؤية الإلهية وتعطلت الرؤية البشرية وربما يكون سبحانه وتعالى قد أعطاه رؤية قوية أكثر من قدرة البشر بدليل أنه رأى القافلة ورأى موسى وهو يصلي في قبره ورأى جبريل عليه السلام. والله أعلم. كلمة عبد في اللغة تعني إنساناً سواء كان مملوكاً أو حُرّاً. فلما يقول في القرآن ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ ما قال بشراً أو إنساناً لأنه يريد أن يربطه بالعبودية لله تعالى وهي أسمى المراتب للبشر ففي أروع المواطن سمّاه عبداً. كلمة عبد لها أكثر من عشرين جمعاً ونظمها أكثر من واحد.

الكاتب: إمام المحدث شبير أحمد أزهر الميرتهى
عرض وتقديم: الدكتور محمد عطريف شهباز الندوى

أية سورة من القرآن أنزلت أولًا؟

الحلقة الثانية

(مقطتف من شرحه الحافل للجامع الصحيح البخاري تحفة القاري بشرح صحيح البخاري)

ذكر البخاري رواية يحي بن بكيرتاما بطوله ذكريحي في حديثه فرجح بها. ولم يذكر غيره كلمة "بها"وذكر يحي قوله لخديجة "لقد أشفقت على نفسي" غير مكرر وذكره الحجاج مرتين بزيادة بلاء. وذكر حجاج في قولها له "تصدق الحديث ولم يذكره يحيي وذكر يحي فيه "تكسب المعدوم ولم يذكره الحجاج-وقال يحي بن بكير في وصف ورقة "وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية" وهذا خطأ وقال عبد الله بن يوسف وحجاج كان يقرأ الإنجيل بالعربية" وهو الصواب وذكر يحيي وشعيب أن خديجة رضي الله عنها قالت لورقة ياابن عم اسمع من ابن أخيك وذكر حجاج أنها قالت ياعم وهذا خطأ ووهم.

(٥) قال البخاري حدثنا يحي بن بكيرثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ح وحدثني سعيدبن مروان البغدادي ثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزمة انا ابوصالح سلموية ثني عبد الله عن يونس بن يزيد أخبرني ابن شهاب أن عروة الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ،ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغارحراء

فيتحنث فيه -والتحنث التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غارحراء فجاءه الملك قال:فقال اقرأ فقلت ماأنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال :اقرأ فقلت ماأنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال: اقرأ فقلت ماأنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال: قرأ باسم ربك إلى قوله مالم يعلم، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره فدخل على خديجة فقال زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع- ثم قال لخديجة أي خديجة مالي خشيت على نفسي وأخبرها الخبر فقالت خديجة كلا أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا، ولله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق-فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى -ابن عم خديجة- وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيراً قد عمي فقالت له خديجة ياابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة ياابن أخي ماذا ترى ؟ فأخره النبي صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس أنزل على موسى ياليتني فيها جزعاً ياليتني اكون حيا (حين يخرجك قومك) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوَمخرجي هم ؟قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا أوذي وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً-ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وقال محمد بن شهاب (هو الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، نسبه يونس إلى جده) فأخبرني أبوسلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي قال: بينا أنا امشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ففرقت منه رعباً فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروه فأنزل الله: ياأيها المدثر قم فأنذر وربك

فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر قال أبو سلمة وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون-قال ثم تتابع الوحي (ص ٧٣٩تفسير سورة العلق) وقال مسلم حدثني أبوالطاهر أحمد بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن السرح انا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها قالت -الحديث إلى قوله نصراً مؤزراً باختلاف يسيرفي الألفاظ وزيادة في الكلمات (صحيح مسلم ١ ص٨٨كتاب الإيمان طبع الهند) فانتهى حديث الزهري عن عروة عن أم المؤمنين رضي الله عنها إلى قول ورقة"وإن يدركني يومك نصراً نصراً مؤزراً-"ثم ذكر الزهري أن ورقة توفي بعد ذلك بقليل وذكر أن الوحي فتر فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا قول الزهري ليس بجزء من الحديث الحقه الزهري بآخرالحديث ذكره يونس بن يزيد عن الزهري مختصراً وذكره معمر تاما كما يأتي.

(التراجم)

سعيد بن مروان بن على أبوعثمان البغدادي نزيل نيسابور روى عن أبي نعيم ومحمد بن عبد العزيز بن أبي رِزمة ويحي بن معين والقعنبي وغيرهم وعنه البخاري وابن ماجة وابن خزيمة وغيرهما وليس له حديث في صحيح مسلم ولافي سنن النسائي ولاسنن أبي داؤد ولاسنن الترمذي. مات بنيسابور في نصف شعبان سنة اثنتين وخمسين ومأتين.

محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزمة ابوعمرو المروزي صدوق ثقة واسم جده أبي رِزمة غزوان روى عن أبيه وأبي معاوية وابن عيينة وحفص بن غياث وغيرهم وعنه أصحاب السنن وغيرهم مات سنة إحدى وأربعين ومأتين.

يونس بن يزيد بن أبي النجاد أبويزيد الأيلي ثقة صحيح الكتاب من أصحاب الزهري، روى عن أخيه أبي علي بن يزيد والزهري ونافع وهشام بن عروة وغيرهم وعنه جرير وعمروبن الحارث وليث بن سعد والأوزاعي وابن المبارك وغيرهم وأعدل الأقوال فيه قول ابن سعيد إنه كان حلو الحديث كثيره وليس بحجة توفي بمصر سنة تسع وخمسين ومأة.

سليمان بن صالح أبوصالح سلموية المروزي نحوي ثقة روى عن ابن المبارك

وفضيل بن عياض وعلى بن مجاهد وأوس بن عبد الله بن بريدة وعنه محمد بن عبد العزيز وعمرو بن يحي الحمصي واسحاق بن راهوية وحامد بن آدم وأبوآدم محمد بن علي مات قبل سنة عشر ومأتين وقد جاوز مأة سنة.(تهذيب التهذيب)

عبد الله بن مبارك بن واضح أبو عبد الرحمن المروزي أحد الأئمة روى عن سليمان التيمي وحميد الطويل واسماعيل بن أبي خالد ويحي بن سعيد الأنصاري وغيرهم وعنه الثوري وابن عيينة ومعمروأبو اسحاق الفزاري وأبو صالح سلموية وغيرهم. كانت أمه خوارزمية وأبوه تركيا. قال ابن عيينة نظرت في أمرالصحابة فمارأيت لهم فضلاً على ابن المبارك إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزوهم معه. لقد كان فقيهاً عالماً زاهدا مجاهداً شجاعاً شاعراً جواداً. كان مصداق قول الشاعر:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفروسية والشجاعة والشدة في بدنه وترك الكلام فيما لايعنيه وقلة الخلاف على أصحابه والتجارة العظيمة والجود الوسيع.قسم أيامه مذ عنفوان شبابه أثلاثاً إلى أن توفي فيشتغل سنةً في الحديث وطلب العلم وبثه في الناس، فإذا تمت السنة اشتغل في التجارة وينفق أموالاً عظيمة على العلماء مثل سفيان بن سعيد الثوري واسماعيل بن علية،فإذا انقضت هذه السنة ركب فرسه وأخذ عُدته وقضى السنة كلها في الجهاد والغزو ولانعرفُ غزوة غزاها إلاجعله الله والمجاهدين معه منصورين غالبين على الكفار وإذا قدم عبد الله على جند من الغزاة استبشروا بالفتح والظفروحقق الله مارجوا. وقال ذات مرة للفضيل بن عياض لولاأنت وأصحابك ماتجرت. وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مأة الف درهم.ولدسنة ثمان عشرة ومأة ومات بهيت منصرفاً من الغزو سنة إحدى وثمانين ومأة وله ثلاث وستون سنة.

(٦) قال البخاري حدثنا يحي بن بكيرثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ح وحدثني عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمرقال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة أنهاقالت أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم

حبب إليه الخلاء فكان يأتي بحراء فيتحنث فيه -و التعبد- الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غارحراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ قال النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ماأنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ مالم يعلم ،فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع- فقال ياخديجة مالي وأخبرها الخبر وقال قد خشيت عليّ فقالت له كلا أبشرفوالله لايخزيك الله أبدا،ولله إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق- ثم انطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهوابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ تنصرفي الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيراً قد عمي فقالت له خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: ياابن أخي ماذا ترى ؟ فأخره النبي صلى الله عليه وسلم مارأى فقال له ورقة: هذا الناموس أنزل على موسى ياليتني فيها جزعاً اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوَمخرجي هم ؟فقال نعم ،لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً - **ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى عليه وسلم في مابلغنا حزناًغدا منه مراراً يتردى من رؤس شواهق الجبل فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبرئيل فقال يامحمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقرنفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبرئيل فقال له مثل ذلك** (صحيح البخاري ص ١٠٣٣ الباب الأول من كتاب التعبير) ثم حديث معمرعن الزهري عن عروة عن أم المؤمنين رضي اله عنها على قول ورقة"وإن يدركني يومك انصرك نصراًمؤزراً.

والحق الزهري بآخره كلامه وذكرفيه مالاأصل له قطعاً من حزن النبي صلى الله عليه وسلم على فترة الوحي شديداً وعزمه على الانتحار من أجل ذلك مراراً وهو باطل لاندري أن الزهري من أي مجنون تلقاه ولم يتق الله شيئا إذ رواه وسأبين ذلك بياناً شافياً، ورواه أحمد عن عبد الرزاق به (مسند أحمد ٦ ص ٢٣٢)

(للبحث صلة)

سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

كلمة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في ندوة الإمام الفراهي

الحلقة الثانية والأخيرة

[خطاب الشيخ أبي الحسن علي الندوي الذي ألقاه بمناسبة "ندوة الإمام الفراهي" في عام ١٩٩١ في مدرسة الإصلاح، بـ"سرائ مير"، أعظم كره، الهند.]

وكطالب في التفسير، ثم كمعلم، يجب أن أقول أيضًا إنه ليس من الصحيح القول عن ثلاثة أشياء، وخاصة فيما يتعلق بربط الآيات في القرآن، بأنه لم يتم العمل عليها في العصور السابقة. فقد كان هناك عالم وصوفي كبير حول منطقة بومباي (لم تكن هناك بومباي في ذلك الوقت) وهو العلامة مخدوم علي المهايمي الشهير، الذي ألّف كتابًا في التفسير بعنوان "تفسير الرحمن وتيسير المنان"، وهو مبني على الارتباط بين الآيات. ومن المصادفات الطيبة أيضًا أن أحد خريجي مدرستكم، المولانا عبد الرحمن برواز الإصلاحي، كتب في سيرته عن العلامة المهايمي، وأوضح جهوده في ربط الآيات في تفسيره، واعترف بها صاحب الثقافة الإسلامية في الهند، وكذلك صاحب نزهة الخواطر، وعلماء آخرون من ذلك العصر. لذا، يُعتبر المهايمي من أوائل من بذل جهدًا شاملاً وعميقًا في هذا المجال.

لكن، مع التقدير لتلك الجهود، أود أن أقول إنه ورد في تفسيره الكثير من التصوف، فمثلاً يكرر القول بأن الخضر عليه السلام قد أعانه في جهوده. وعلى كل حال، فإن الحقيقة تبقى أن الناس سبقوا إلى العمل في ربط الآيات والتناسق بينها.

إلا أن ما يميز فكرة ربط الآيات عند العلامة حميد الدين الفراهي هو أنها تتجاوز مجرد إثبات عدم وجود فجوات أو تناقضات بين الآيات، إلى محاولة الكشف عن نظام متكامل يخضع لقانون مستقر يحكم الترابط بين الآيات. إن مثل هذا التصور الواسع والشامل للترابط بين الآيات، ومن ثم تفسيرها وفق هذا النمط، نادر في الأعمال السابقة، بل يمكنني القول – بحذر – إنه لم يسبق إليه أحد.

وهنا أريد أن أنبّه إلى أمر مهم، وهو أنه ينبغي لمن يسير في طريق العلم أن لا يعتبر نفسه متحررًا تمامًا من الماضي، ولا ينبغي له أن يقتصر على التاريخ في فهمه، ولا أن يكون هدفه مجرد تكرار التاريخ أو التباهي به، بل يجب أن يكون دافعًا للعمل والاجتهاد. ومن جهة أخرى، من الضروري الاعتراف بتميّز العمل الذي أُنجز على القرآن في العصور السابقة، وفي الوقت ذاته، لا بد من إدراك أن العمل لم ينتهِ بعد، بل هو مستمر ومتجدد.

والحقيقة التي جمعتنا هنا اليوم هي اجتهادات العلامة حميد الدين الفراهي في هذا المجال، وعمله التجديدي فيما يتعلق بربط الآيات ونظم القرآن. لقد لاحظت خلال دراستي، حين كنت مدرسًا في دار العلوم ندوة العلماء، أن هناك ثلاثة جوانب بارزة في تفرّده:

الربط بين الآيات والنظم.

عمله على أقسام القرآن، حيث اختار الآيات والسور المستقلة، وبيّن كيف ترتبط هذه الأقسام بموضوع السور ومضامينها، وكيف يتطوّر الفهم القرآني عبر هذه الأقسام. وهذا ما لم يفعله أحد من قبله بهذه الطريقة.

كتابه "جمهرة البلاغة"، حيث قدّم فيه نظرة تحليلية لبلاغة القرآن، معتمدًا

على ذوق العرب وفهمهم اللغوي، وأوضح كيف تأثرت كتابات العلماء المتأخرين بأنماط بلاغية غير عربية.

وهنا، لا يكفي مجرد عقد ندوة كبيرة كهذه وإنجاحها بحضور شخصيات علمية مرموقة، بل يجب أن ننظر نظرة نقدية ورصدية إلى أعمال العلامة الفراهي كدراسات مقارنة، كما يجب تقديمه إلى العالم العربي بطريقة علمية متكاملة. كما ينبغي أن نفهم جيدًا أن العمل لم ينتهِ بعد.

إن القرآن هو شجرة طيبة، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولم ينتهِ زمن التدبر فيه على يد أي مفسر كان، سواء الإمام الرازي – الذي يُعتبر أشهر مفسر وأعظم مدافع في وجه الفلسفة اليونانية – أو غيره. ولا ينبغي لنا أن نعتبر الإمام الرازي أو أي مفسر آخر هو المفسر الأخير، فمع كامل التقدير لمكانتهم العلمية، علينا أن ندرك أن القرآن كتاب خالد، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معانيه الجامعة، ولا يمكن للعقل البشري أن يستنفد جميع أسراره في أي عصر من العصور.

أما فيما يتعلق بفهم القرآن، فلا ينبغي أن نعتمد على شخص معين بحيث يصبح حاجزًا بيننا وبين التدبر المباشر في آياته. فمثال ذلك كمن يقف عند نبع ماء صافٍ، لكنه لا يستطيع رؤية الماء بوضوح بسبب ظل شجرة قريبة منه، حتى وإن كانت هذه الشجرة جميلة ومثمرة. لكن ظلها يسقط على ذاك الينبوع النظيف العذب الشافي، ومن أجل ظلال الشجرة لاتستطيع رؤية ذاك العين ولاتسطيع الاستفادة منه حق الاستفادة ولامن عذوبته كما تستطيع لو كنت تراه وحدها بالعينين وتعتقد أن هذه النافورة تكفي في مكانها ، وليس هي النافورة الشافيةفحسب ، بل هي النافورة الكافية والمعين الذي لاينضب أبداً.

لا ينبغي أن نحجب أنفسنا عن القرآن بسبب تعلّقنا بشخص معين، بل يجب أن يكون القرآن منبع الفهم والتجديد لكل عصر.

وفي النهاية، لا أشكركم فحسب، بل أعتذر أيضًا، إذ لم أتمكن بسبب رحلاتي الطويلة – حيث عدت للتو من رحلتين طويلتين – من إعداد أي شيء

كتابي مسبقًا لأقدمه إليكم. ومع ذلك، أود أن أؤكد مرة أخرى أن تقديم فكر الفراهي إلى العالم العربي يتطلب إعدادًا كاملاً، ومقالات علمية متينة، تنشر في المجلات العربية، وخطبًا تلقى عنه، وأوراقًا بحثية توضّح جهوده في تفسير القرآن، وربط الآيات، وتقسيم السور، وعمله البلاغي في جمهرة البلاغة.

وأخيرًا، لا ينبغي أن تكون هذه الندوة مجرد مناسبة تاريخية أو حدث يروى، بل يجب أن تكون حافزًا لبداية عهد جديد في الدراسات القرآنية، حيث لا تقتصر على الحديث عن الماضي، بل تكون دافعًا للعقول المفكّرة، وأصحاب المعرفة، وطلاب مدرسة الفراهي، ليواصلوا العمل في هذا الاتجاه، ويسهموا في إثراء المكتبة الإسلامية، ويقدّموا الفكر الإسلامي بمادة جديدة وتوجّه أكثر عمقًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صاغه باللغة العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

الكاتب: العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي
ترتيب وتعريب: الدكتور محمد عطريف شهباز الندوي

دراسة مواقف علي و معاوية رضي الله عنهما عن التحكيم وقصة الخوارج

الحلقة الأولى

[قد كتب الإمام المحدث شبير أحمد أزهر الميرتهي شرحا حافلا على مسند الإمام أحمد بن حنبل باللغة الأردية والذي لم يتمكن من إكماله. وأثناء دراسة مخطوطات مسند عثمان بن عفان ومسند علي بن أبي طالب منه تم العثور على هذه المذكرة الطويلة، وهي تُقدم إلى القراء الكرام مع إضافة بعض المراجع الضرورية والإحالة إليها-المدير]

ويبدو من المناسب أن تكتب بضع سطور عن معركة نهروان وخلفيتها وبواعثها لتسهيل فهم الأدلة التي جاءت حول مواقف سيدنا علي (رضي الله عنه) و سيدنا الأمير معاوية (رضي الله عنه)عن قضية التحكيم وماانبثق منها من خلاف.

قضية التحكيم

عندما أصبحت معركة صفين خطيرة للغاية وضحيت في الحرب الأهلية المتبادلة بالثروة الثمينة لشجاعة المسلمين، والتي يمكن أن تكون كافية لفتح العالم كله تقريبا، رفع سيدنا معاوية المصاحف (نسخاً من القرآن) على الرماح

ونودي من قبله بصوت عال:

"من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ فلمارأالناس المصاحف قد رفعت قالوانجيب الى كتاب الله عزوجل ونثيب إليه". (الطبرى تاريخ الرسل والممالک الجزء الخامس تحقيق محمدأبوالفضل إبراهيم الطبعة الثانية دارالمعارف مصرص٤٨)

روى أبو مخنف يحيي بن لوط (وهو راوي خاص للطبري عن مشاجرات الصحابة ووصفه جميع أئمة الرجال والمحدثون بأنه أفاك كذاب) عن عبد الرحمن بن جندب أن عليا (رض الله عنه) لما رأى هذا الوضع فشرح لجيشه ماوراء رفع المصاحف من الدسيسة والخداع من الطرف الخصم أي معاوية وأهل الشام وأمرهم بمواصلة الحرب. وهذه الرواية المنتشرة عموما بين الناس وقد قبلوه إلا أنه ليس صحيحا في تحقيقنا وسيقدم البحث في ذلك قدماً. وعلى كل حال فوفقا للطبري قال مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حسين الطائي وغيرهم من مقرئي كوفة ، الذين كانوا مع علي بجرأة ووقاحة:

ياعلي أجب إلى كتاب الله إذادعيت إليه وإلاندفعک برمتک إلى القوم أونفعل بك كما فعلنا بابن عفان،إن علينا أن نعمل بمافي كتاب الله عزوجل فقبلناه،والله لتفعلنها أولنفعلنها بک الخ. (أيضا ص٤٩)

إذا كانت هذه الرواية صحيحة، فهي تبين أن عنصرا كبيرا من الأشرار والأوغاد قد اجتمعوا مع سيدناعلي (رضي الله عنه) الذين لم يعرفوا أي أدب حتى أن كيف يتحدثون إلى أمير المؤمنين، ومن المعروف أيضا أن هولاء هم المتمردون الباغون الذين قتلوا سيدنا عثمان (رض الله) بوحشية كبيرة-المدير)

فوفقا لهذه الرواية ، فإن عليا (رضي الله عنه) قد اضطر إلى الأمر بوقف إطلاق النار واستدعى قائده الخاص الأشترالنخعي الذي كان لايزال مستمرافي القتال والمعركة.

ويقول ابن جرير:قال أبومخنف حدثني عبدالرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن عليا قال: عباداللهِ امضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوكم،إن معاوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاک بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولاقرآن، أنا اعرف بهم منكم،

قدصحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم أنهم مارفعوها ثم لايرفعونها ولايعلمون بما فيها ومارفعوها لكم إلا خديعة ودَهنا ومكديدة الخ. (نفس المصدر ص٤٩حرب صفين)

وهنا نريد أن نتكلم باختصار بكلمتين على اعتذار سيدنا علي رضي الله عنه الذي قدمه بخصوص عدم قبوله التحكيم في أول الوهلة.

ففي وقعة صفين، عندما رُفعت المصاحف من قِبل الأمير معاوية ونودي: هذا كتاب الله بيننا وبينكم، فبدلاً من سفك الدماء المتبادلة، يجب أن نطلب من هذا الكتاب حكما في خلافاتنا. لذلك استجابت الكثير من الأشخاص من عسكر علي لهذا الطلب. ومع ذلك ، فقد ذكر أيضا في هذه الرواية أن سيدنا علي (رضي الله عنه) قال: "إني أعلم بالقوم منكم أي أنا أعرف هؤلاء الناس مثل معاوية وعمرو بن العاص وغيرهما، أكثر منكم. إنهم ليسوا بأصحاب دين ولاقرآن".

السؤال هو، لماذا قال علي (رضي الله عنه) هذا الكلام القاسي جدا؟هل ترك معاوية وعمرو بن العاص وغيرها الإسلام بعد دخولهما الإسلام؟ ألم يكن هؤلاء ملزمون بواجبات الدين والأحكام؟ ثم لم يكن الأمر كما لو أن معاوية وعمروا قد بايعوا عليا (رضي الله عنه) ثم طرحوا قلادة الطاعة له من أعناقهم وجاؤا بدعوى الخلافة نفسها، حتى يمكن تلقيبهم بمتمردين وباغين على الخلافة. في الواقع، يبدو أن معاوية وعمروا كانا مدعمان بدليل الدين والقرآن، لأنهما طالبا أن يفرض علي أمر كتاب الله على قتلة الخليفة المظلوم عثمان(رضي الله عنه). وتسليمهم لأولياء المقتول وفقا لحكم الشريعة. نعم لم يقبل سيدنا علي (رضي الله عنه) مطلبهما الذي كان مطلبا حقيقياشرعياً.

وتقول الرواية أن علياً أضاف قائلا: "قدصحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال "أقول إن هذا خطأ تاريخيا تماما. لأن عمرو بن العاص كان شابا يافعاً وقت ولادة علي. فقد ولد عمرو بن عاص قبل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأربع سنوات. وكان يقول إنني أتذكر ليلة ولادة عمر بن الخطاب. وكان يبلغ من العمر حوالي سبعة وخمسين (٥٧) عاما وقت الهجرة. وتوفي عام ٤٣ ه عن عمر يناهز حوالي مائة عام. بينما استشهد علي (رضي الله

عنه) عن عمر يناهز الثالثة والستين أو الرابعة والستين أو الخامسة والستين أو الثامنة والخمسين عاما في عام ٤٠ هجرية ، وكان علي يبلغ من العمر ٢٣ عاما أو ٢٤ أو ١٨ عاما وقت الهجرة وفق الروايات المختلفة. وهكذا ، لم يجد علي (رضي الله عنه) طفولة عمر بن العاص. أما معاوية (رضي الله عنه) فكان معاصراً لعلي (رضي الله عنه) ، وتوفي معاوية في عام ٥٩هـ أو ٦٠هـ عن عمريناهض ثمان وسبعين أوست وثمانين عاماً. وبالتالي في وقت الهجرة ، كان معاوية شابا يبلغ من العمر ١٨ عاما أو ٢٦ عاما حسبما تقوله الروايات، أي أنه كان يتقارب علياً في العمر. لكن لم يكن لعلي (رضي الله عنه) أي علاقات ودية مع معاوية في الجاهلية أو الإسلام. فكيف يصح إذن قول عليّ عنهما: إني صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً؟

ثم إنه مهما كان من معاوية وعمرو بن العاص قبل الإسلام، وبعد أن نالا نعمة الإسلام، مدة طويلة حتى نهاية خلافة عثمان رضي الله عنه، فإن علياً ولا أحداً من الصحابة لم يعلم بأي فعل منكر ارتكبه عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، ومن ثم فإن القول عنهما: "فكانوا شر أطفال وشررجال" هو قول تافه لا معنى له ولا معقولية.

وبعد ذلك روي عن علي (رضي الله عنه) أنه قال: إنمارفع القوم هذه المصاحف خديعةً ووهنا ومكيدةً "أي إن هؤلاء القوم رفعوا المصاحف في هذا الوقت فقط لأنهم يريدون تجنب الهزيمة باستخدام الخداع والغش فلا تغرنكم بهم. ومن المحتمل أن يكون علي (رضي الله عنه) قد قال هذا بالفعل، ومن باب الشك اتهم معاوية برفع المصاحف على أساس الخداع والغش. ولكن من الواضح أن علياً (رضي الله عنه) لم يكن نبيًا معصومًا، ولم ينزل عليه الوحي من الله تعالى. لذلك، لا يصح أن نفهم على أساس قول علي (رضي الله عنه) فقط أن معاوية وعمر وابن العاص (رضي الله عنهما) أرادوا في الواقع التفريق بين أصحاب علي بهذه الطريقة. بل إن الحقيقة البسيطة هي أنه في هذه الحرب، عندما كانت خطوط القتال مصطفة وكان سفك الدماء في ذروته، وعندما بلغ الوضع حده الأقصى، خشي معاوية وغيره أن تستمر الحرب على هذا النحو، ويستمر المسلمون في قتل بعضهم بعضاً بنفس الطريقة، فإن العواقب ستكون وخيمة. وعندما

فُقدت قوات الشام والعراق في هذا الميدان، فما هي الوسائل التي ستبقى لحماية الشام والعراق وإنقاذ الدولة الإسلامية من براثن الدول المجاورة الكافرة المعادية؟ لذلك، وبإيمان صادق ورحمة، دعوا الأمة الإسلامية إلى الامتناع عن الحرب والتوجه إلى كتاب الله.

ولكن تباً للمؤرخين ورواة القصص الذين عرضوا هذه الحادثة على نحو يبدو وكأن هؤلاء التعساء كانوا يتبعون معاوية وعمرو بن العاص في ميدان صفين ويسجلون كل كلمة تخرج من أفواههم. فيذكرون أن القتال المستمر لمدة ثلاثة أيام ولياليٍ قد أضعف أخيرًا مخيم أهل الشام، ومزقت سيوف علي (رضي الله عنه) والأشتر النخعي صفوف جيش معاوية، وأحدثت فوضى عارمة. ففزع معاوية واستشار عمرو بن العاص في ما يجب فعله الآن. وحينئذ أدلى عمرو بن العاص برأيه مامفهومه: ارفعوا القرآن على الرماح، ونادوا بأن لا يقاتل المسلمون بعضهم بعضًا، فإن بيننا وبينكم كتاب الله، فافصلوا بينكم على أحكامه. وكان عمرو قد قال إن من مصلحة هذا أن يحدث انقسام في جيش علي. فإذا لم يستمع إلينا بعض الناس، فإن بعض الناس منهم سوف يستمعون وبالتالي سيكون هناك خلافات فيما بينهم، وهذا هو هدفنا.

(ونقل الطبري ذلك في الجزء الخامس من تاريخه ص٤٩)

وهذه الأسطورة من نسج خيال الروافض، ولا يوثق بروايتها أحد، فأن من رواه لم يحضرأي منهم المعركة فضلاً عن كونهم ثقات. ومما يدل على بطلان هذه الأسطورة وكذبها: أن معاوية وعمرو ابن العاص لو عرض عليهم هذا الاقتراح لإيقاف الحرب مؤقتاً ولتجنب الهزيمة لما التزموا بعهد الحكم فيما بعد، ولكن الثابت من تاريخ الطبري وغيره أن معاوية التزم بالعهد، متجاوزاً علياًفي ذلك.

(مترجمة من الأردية) (يُتبع)

نعيم أحمد بلوش

حياة أمين

(سيرة الشيخ المولانا أمين أحسن الإصلاحي)

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر قرآن"

من كاتب سيرته نعيم أحمد بلوش]

الحلقة الثانية

[تنشر هذه المقالات تحت عنوان "السيرة للشخصيات"، وهي تعكس آراء وتحقيقات مؤلفيها الكرام، المستندة إلى أبحاثهم الخاصة، لذا، لا يلزم أن تتوافق المؤسسة مع جميع ما يرد فيها.]

في ذكريات طفولته، يتذكر المولانا أمين أحسن جيدًا أن جده أراد أن يجعله موظفًا حكوميًا. وعلى الرغم من أنه كان يحب جده كثيرًا، إلا أن المولانا كان يكره بشدة أن يكون موظفًا رسميًا. وكان السبب في ذلك أنه أحب الاحترام والتقدير اللذين كانا يحظى بهما العلماء في وطنه ومحيطه. وكانت فكرة أن يصبح شيئًا مماثلًا لهم تنمو في ذهنه، وكان يقول إن عائلتنا كانت تُسمى "أخوة العلماء" بسبب تواجد المولوي شبلي، والمولوي حميد الدين، والمولوي شبلي المتكلم، وغيرهم فيها، ولهذا كان لهم مكانة خاصة في المجتمع.

قال إنه عندما ذهب إلى المدرسة، كان ينشد قصائد كريمة سعدي، وكان

الناس يستمعون إليه باهتمام، بل ويثنون عليه، وكان بعضهم يطلب منه أن ينشد لهم هذه القصائد، فيبدأ في إنشادها بفرح عظيم:

كريما به بخشائے بر حال ما
كه هستم اسيرِ كمندِ هوا
نداريم غير از تو فرياد رس
توئی عاصیاں را خطا بخش و بس
نگهدار ما را زِراه خطا
خطا در گذار و صوابم نما

[ترجمة: أيها الكريم الغافر، تفضّل علينا برحمتك، فنحن أسرى أهوائنا وضعف نفوسنا. لا ملجأ لنا سواك، فأنت وحدك الغافر لزلات العاصين. فاحفظنا من الانحراف، واغفر لنا ذنوبنا، واهدنا إلى طريق الحق والصواب.]

لم يكن الناس يستمعون إلى هذه القصائد فحسب، بل كانوا أيضًا، مثل الطالب الصغير، ينشدونها ويقرؤونها معه. قال المولانا، معلقًا على هذه القصائد: "لقد كنا لفترة من الوقت أسرى لهذه القصائد، ولكن عندما كبرنا، أدركنا أنها تحتوي على مغزى التصوف بأسره، وربما يشير المولانا إلى كلمة أسير الطمع".

العلاقة مع الهندوس في القرية

وفي إشارة إلى التسامح الديني في الظروف الاجتماعية في ذلك الوقت، يقول المولانا: "كنا نحضر بانتظام الطقوس الهندوسية مثل حفلات الزفاف وغيرها، وكانوا يحضرون مناسباتنا أيضًا. وهذا يعني أن الارتباط الثقافي كان قائمًا بشكل كامل. لم يكن المسلمون يحضرون احتفالات الهندوس الدينية البحتة، لكن الهندوس كانوا يحضرون عيد الفطر أيضًا. وفي هذه المناسبة، كانوا يرتدون ملابس جميلة مثل المسلمين. كانوا يلبسون عمائم كبيرة، وكان هذا هو الزي الخاص للهندوس من طائفة الراجبوت. كما كان يتم تبادل الهدايا أيضًا".

لا توجد لدى المولانا أي ذكريات عن طفولته أو شبابه تشير إلى الكراهية أو المرارة بين المجتمعين الهندوسي والإسلامي. بل كان هؤلاء الناس ينتمون إلى نفس المجتمع الذي اعتنق منه أجداد المولانا الإسلام، ولم يسبب هذا التغيير في الدين

أي كراهية أو عداوة. ويوضح المولانا أن الإسلام لم يفعل أكثر من تغيير عقائدهم وتحذير الناس مما هو مسموح به وما هو محظور، أما فيما يتعلق بالمراعاة الاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد، فلم يطرأ أي تغيير يُذكر.

بل قال إن الأنا الراجبوتية والشعور بالفخر كانا حاضرين فينا حتى بعد أن أصبحنا مسلمين. ويعترف المولانا بأنه في المدرسة شهد الكثير من الإصلاحات في هذا الصدد. يقول:

"لقد كان لدي أيضًا نوع من العناد الذي استأصله مولانا حميد الدين بشكل خاص."

وفي هذا الصدد، يصف المولانا حساسية معلمه قائلًا: "لاحظنا أنه كان يسمي أحد أبنائه ميرزا، والآخر مغول، والثالث خان أي باثان. وقد كنا نتفاجأ كثيرًا بهذا. وأخيرًا، في أحد الأيام، سألناه عن السبب، فقال: إني سميتهم بناءً على طباعهم، فلكل أمة طباعٌ خاصة تنعكس على طبيعة أفرادها".

خلفية تأسيس مدرسة الإصلاح

وقد ذكر المولانا قصة دخوله إلى مدرسة الإصلاح، وذكر نشأتها على وجه التحديد. وعلّق المولانا على هذه الأحداث تعليقًا بليغًا وأوضح الدور الذي لعبه مولانا شبلي النعماني في إنشاء المدرسة، وقال:

"لقد سئم المولانا شبلي النعماني من تجواله، فجاء إلى أعظم جراه وقرر البقاء هناك. لقد ترك جميع أنشطته الخارجية - بلكناو وما إلى ذلك - وجلس وساقاه متقاطعتان، ولست أقول هذا مجازًا، بل حدث ذلك بالفعل. لقد تم بتر قدمه. ثم وقع حادث كانبور. عندما وُضع رجال الدين في السلاسل، أصبح مضطربًا. لقد مات أخوه، وكان لكل هذا أثره على شعره وعلى كل شيء آخر. وعندما ذهب إلى الاعتكاف في أعظم جراه، لم يكن من أولئك الذين ظلوا صامتين. لقد كان شخصًا كريمًا مفضالًا للغاية. أينما جلس، شرعت الحدائق والمروج تنمو، وأخذت الأنهار تجري. وكانت فكرة دار المصنفين قد ترسخت في قلبه وعقله منذ زمن، فبدأها".

أصبحت المدرسة الثانوية الوطنية "كلية شبلي". وفي الوقت نفسه، اتجه اهتمامه إلى مدرسة إصلاح المسلمين في "سرائي مير". وكان السبب في ذلك هو

حادثة "الندوة"، فلم يكن من الممكن أن يعيش شبلي بدون خياله عنها، لأنه لم يكن من النوع الذي يقضي حياته بلا جدوى. لقد كان عاصفة تمشي على الأقدام. ففكر الآن في إنشاء مؤسسة للتعليم الديني هنا، وربما تأثرت هذه الفكرة أيضًا بخيبة أمله في الندوة، فتوجه إلى مدرسة الإصلاح.

كل هذه العبارات ليست مجرد جمل، بل هي إشارات إلى أحداث مهمة في الماضي، وتحمل دلالات بعيدة المدى للمستقبل. وهي تحتاج إلى بعض التفصيل والتلخيص.

هذه الجمل ليست مجرد كلمات، بل هي تلميحات ذات دلالات كاملة، تشير إلى أحداث خطيرة في الماضي، وتُنبئ بمواقف بعيدة المدى في المستقبل. ولذلك، فهي تحتاج إلى بعض التفصيل والتلخيص، وهو ما نقدمه في هذا الملخص:

بعد فشل حرب عام ١٨٥٧، توصلت النخبة الواعية من المسلمين في شبه القارة الهندية إلى استنتاج مفاده أنهم لم يعد بإمكانهم تحسين أوضاعهم من خلال النضال المسلح. وبعد التوصل إلى هذا الإدراك، أسسوا ثلاثة أنواع من المدارس.

الأولى نشأت عام ١٨٦٦ من خلال تأسيس دار العلوم ديوبند. ويقول أستاذنا الجليل جاويد أحمد غامدي عن هذه المرحلة:

> "في هذا العهد، تعرفنا لأول مرة بشكل مباشر وملموس على الحضارة الغربية. وكانت النتيجة أن انقسمت الأمة إلى فئتين مختلفتين تمامًا. الفئة الأولى أصرت على أنه لا يمكن فهم القرآن والسنة وتعليمهما إلا وفق أصول ومبادئ مدرستنا الخاصة، مستندة إلى آراء ومذاهب أكابرنا. ولم تكن ترى في الحضارة الغربية وعلومها ما يستحق الاهتمام أو الدراسة. ومن أعلام هذه الفئة قاسم النانوتوي، ورشيد أحمد الكنكوهي، ومحمود حسن الديوبندي، وأنور شاه الكشميري، وحسين أحمد المدني، وأشرف علي التهانوي، وشبير أحمد العثماني، وغيرهم." (مقامات، ص ٥٥)

أما الفئة الثانية، فقد أعطت كل الاعتبار للحضارة التي هُزمت الأمة على يديها – أي الحضارة الغربية وعلومها – وجعلتها معيارًا للحق والباطل. وكان على رأس هذه الفئة سر سيد أحمد خان، الذي أسس "الكلية المحمدية الإنجليزية

الشرقية" في علي كره عام ١٨٧٥م.

وبالمقارنة مع هاتين المدرستين، أسس شبلي النعماني مدرسة فكرية ثالثة. يقول أستاذنا الجليل عن ذلك:

"تبنت هذه المدرسة الفكرية مبدأين: الأول هو الرجوع إلى عصر الرسالة حين كان القرآن ينزل، وكان الرسول ﷺ بنفسه يدعو الناس إلى الإسلام. والثاني أن من متطلبات فهم التراث القديم الاطلاع على الجديد أيضًا. ومن أعلام هذه المدرسة السيد سليمان الندوي، وأبو الكلام آزاد، وأبو الأعلى المودودي، وحميد الدين الفراهي، وأمين أحسن الإصلاحي. وأطلق على هذه المدرسة اسم "مدرسة شبلي"." (مقامات، ص ٥٦)

شبلي النعماني ومسيرته العلمية

بدأ شبلي تعليمه على يد أستاذه المولوي فاروق الجرياكوتي، وتأثر بالإمام أبي حنيفة تأثرًا كبيرًا، حتى كتب عنه كتابًا انتشر على نطاق واسع. ثم أضاف إلى اسمه لقب "النعماني" نسبة إلى الإمام أبي حنيفة، واسمه النعمان.

لاحقًا، تبنّى مجال التعليم الحديث، وكان المحاماة هو المجال الأكثر شعبية وشهرة في عصره، لكنه لم يستطع البقاء فيه طويلًا، إذ لم تكن طبيعته الجياشة لتسمح له بأن يبقى أسير الفقه الحنفي وحده، كما لم يجد في المحاماة ما يُشبع ميوله العلمية.

وانتقل إلى علي كره، حيث أعجب سر سيد أحمد خان بقدراته العلمية، فضمه إلى هيئة التدريس في الكلية التي أسسها هناك. وبقي يُدرّس في عليكرة حتى وفاة السيد أحمد خان، نظرًا لعلاقته الودية معه وإيمانه بأهمية نشر المعرفة.

أما على الصعيد المعرفي، فقد تعلّم اللغة الفرنسية من البروفيسور توماس أرنولد، مقابل تدريسه اللغة العربية له. كما سافر إلى تركيا، وزار مصر والجزيرة العربية، ولم يكتفِ بالغوص في محيط المعرفة، بل كان يُراقب أحوال العالم من حوله. في مصر، التقى بالمفكر محمد عبده، وفي تركيا التقى بالسلطان عبد الحميد الثاني.

رؤيته السياسية والاجتماعية

اتفق شبلي مع السيد أحمد خان في أن سر بقاء الأمة وتقدمها يكمن في نشر

المعرفة وتعزيزها. لكن نظرته السياسية والاجتماعية تبرز من خلال هذا الاقتباس الذي أورده تلميذه السيد سليمان الندوي:

"عندما تحكم دولة أجنبية شعبًا آخر، فإن أنجح استراتيجياتها الإمبراطورية تتمثل في خلق الانقسامات بين الأفراد والطبقات داخل الأمة الخاضعة لحكمها. فبعد قرون من الحروب والصراعات، كان المسلمون والهندوس في الهند قد وصلوا إلى مستوى من الوحدة الوطنية، حيث ارتدوا الملابس نفسها تقريبًا، وأصبحت حضارتهم موحدة، ولغتهم واحدة. لكن أول ما فعله البريطانيون بعد سيطرتهم على الهند هو إزالة اللغة الفارسية من المكاتب الحكومية واستبدالها باللغة الأردية. وبعد ذلك، أسسوا في كلية فورت ويليام لغة جديدة أطلقوا عليها اسم "الهندية"، وادعوا أن الأولى لغة المسلمين، والثانية لغة الهندوس. وقد انتشر تأثير هذا التمييز تدريجيًا حتى غطى البلاد بأسرها." (حياة شبلي، ص ٤٠٠-٤٠١)

وهذا يعني أن مولانا شبلي والسيد سليمان الندوي كانا يريان أن نظرية السر سيد أحمد خان حول الدولتين، والتفرقة بين اللغتين الأردية والهندية، لم تكن سوى مؤامرة بريطانية ضد المصلحة الوطنية، رغم أن السر سيد أحمد خان نفسه دعم ذلك بحسن نية. *

وكان هذا الخلاف بين شبلي وسرسيد أيضًا حول تفسير الدين ومنهج العمل، وقد ذكرت في "حياة شبلي" عشرات الاختلافات في هذا الباب، ولكن خوفًا من الإطالة نكتفي هنا بذكر جزء آخر: "ومن الجدير بالذكر أيضًا الخلافات التي نشأت بين الرجلين حول تأليف كتاب" الفاروق". فوفقًا لأحدهما (سر سيد)، لم يكن عمر الفاروق سوى ممثل لحكم وسلطنة النبي ﷺ، ووفقًا للآخر، فقد كان تجسيدًا لما قيل بالفارسية:

---

* هذا خطأ تماما إن سرسيد أحمد علي خان لم يخلق هذه النزاعات بل هذه النزاعات خلقتها الانجليز وأثارتها زعماء من الهندوس ولما عارضوا هولاء الهندوس الأردية بشدة قام السر سيد ضدهم مدافعاً عن الأردية فقط، إذن فإنه لم يقم بأي دور سلبي كما يؤشر إليه صاحب المقال (المترجم).

"آنچه خوبان همه دارند، تو تنها داری"، أي: (إذا كان الآخرون يتمتعون بهذه الكمالات جميعًا، فأنت وحدك تجمعها بأسرها في كيانك).

وفي هذا الصدد، لم يكن من السهل على محبٍّ للصحابة مثل المولانا شبلي أن يتقبل الرأي الذي عبر عنه السير سيد في كتابه ومقالاته بشأن الخلفاء الراشدين. ولهذا السبب كتب المولانا شبلي كتاب الفاروق بكل جهده، غير مبالٍ باعتراضات السير سيد واختلافاته واستيائه.

ثم كان هناك خلاف آخر نشب بينهما، فوفقًا للسير سيد، فإن علاج أمراض المسلمين كان أن يصبحوا إنجليزًا في كل شيء باستثناء الدين، بينما رأى المولانا شبلي أن العلاج يكمن في الحفاظ على المعتقدات والأخلاق الإسلامية الحقيقية، مع قبول الأمور المفيدة فقط من العصر الجديد. ومن ضمن حلقات هذا الخلاف، أن المولانا شبلي سبق له أن قال في خطاب له في "الندوة" أو غيرها: إن تقدم الأمم يكون بالمضيّ قُدُمًا، لكن تقدم المسلمين يكون بالتراجع إلى الوراء والوراء حتى يلحقوا بدور الصحابة.

وقد غضب السر سيد غضبًا شديدًا من هذه العبارة، إذ تصور أن مثل هذه النصيحة في ذلك الوقت سوف تحرف المسلمين عن الطريق الذي أراد أن يسلكوه فيه، فكتب مقالًا شديد اللهجة ضده (حياة شبلي، ص ٢٦٨).

وكان هناك مثال آخر بارز للخلاف بينهما فعندما أراد السر سيد أن يترجم شبلي تفسيره للقرآن الكريم، اعتذر شبلي معللًا ذلك بانشغاله. وبعد ذلك، أمر باستدعاء مولانا حميد الدين الفراهي، وهو طالب شبلي وابن أخيه، حيث كان يدرس آنذاك في الكلية، لكنه رفض كذلك. وعندما سأله السر سيد بإصرار عن السبب، قال: لا أريد أن أكون مساهمًا عاصيًا بالتعاون في نشر هذا الباطل (حياة شبلي، ص ٢٨٨).

الخلاف حول السياسة وأسلوب الإدارة

كان السبب الرئيسي وراء نفور شبلي من علي كره هو الطبيعة الاستبدادية للسر سيد. وبالمقارنة، كان شبلي يتمتع بمستوى مثالي من التسامح والمزاج الديمقراطي، والذي انعكس في جميع الأمور، سواء كانت سياسية أو إدارية أو فكرية. فعلى سبيل المثال، كان السر سيد يعارض بشدة حزب المؤتمر الوطني

الهندي (كانكريس)، في حين اعتبره شبلي وسيلة للوحدة الوطنية، وضرورية لتلبية مطالب الحكومة البريطانية، مما عرضه لانتقاد شديد من السر سيد.

كما كان شبلي يؤمن بوحدة الهندوس والمسلمين وظل ملتزمًا بهذه الأيديولوجية السياسية حتى وفاته. ورغم هذا الخلاف العميق مع السر سيد، فإن علاقتهما الودية استمرت، بفضل رقيّ التعامل والسلوك النبيل السائد في ذلك العصر، وهو أمر يصعب تصوره اليوم. وهذا يدل على أن شبلي كان يحمل أيديولوجية مختلفة ونظامًا فكريًا مستقلًا. ويتأكد هذا أيضًا من خلال انخراطه لاحقًا في الجامعة العثمانية في حيدر آباد، ثم في ندوة العلماء بلكناو.

دوره في ندوة العلماء

في عام ١٨٩٢، تأسست ندوة العلماء في كانبور، وهي حركة قام بها علماء تأثروا بحركة عليكرة، لكنهم كانوا معارضين لأيديولوجية السر سيد. وقد رأوا أن المؤسسات التعليمية المتأثرة بأفكاره أصبحت أحادية الجانب، ولا تلبي احتياجات المسلمين. فقرروا تأسيس دار علوم تجمع بين التعليم التقليدي والحديث. وقد انضم المولانا شبلي إلى هذه الحركة منذ أول مؤتمر لها، وألقى كلمة مهمة فيها.

وفي عام ١٨٩٨، تأسست دار العلوم ندوة العلماء في لكناو، بعد ستة أشهر من وفاة السر سيد. وكان شبلي يعلق آمالًا كبيرة على هذه المؤسسة، إذ رأى فيها فرصة لإنشاء مدرسة تعليمية متكاملة تخدم العالم الإسلامي.

في عام ١٩٠٥، تولى شبلي منصب الأمين العام للمؤسسة، وبدأ في تنفيذ إصلاحات جوهرية. وكان يواجه صعوبة في إدراج اللغة الإنجليزية ضمن المناهج الدراسية، حيث كان تعلّمها للعلماء لا يزال يُعتبر جريمة كبرى آنذاك، وإن كانت فتاوى حرمة تحصيل الإنجليزية قد انتهت بالنسبة للرجل العادي . إلا أنه أصرّ على ذلك حتى تم قبوله. كما أراد إدراج اللغتين السنسكريتية والهندية، لكن اقتراحه رفض.

ومع ذلك، كان نجاحه الأكاديمي في الندوة كبيرًا، حيث أنتجت المدرسة عددًا من أبرز علماء الهند، وأصبح طلابها يتمتعون بقدرات تعبيرية وأكاديمية متميزة.

استقالته من ندوة العلماء

رغم هذه الإنجازات، تعرّض شبلي لحملات معارضة واسعة من بعض العلماء التقليديين، الذين اتهموه بأنه عميل للسير سيد، وأنه جاء لتحقيق أجندته. كما اتُّهم بالتقصير في إحياء شعار الإسلام، واعتبر إعماله للعقل في الدين جريمة لا تُغتفر. فقد كان البعض يرى أن الدين يجب أن يُؤخذ بالإيمان فقط، لا بالعقل.

وكان نواب محسن الملك وهو من زعماء حركة على كره قد تنبأ عندما قرر شبلي الالتحاق بالندوة. فقد قال للشبلي إنه لن يقاومك أحد في حالات البؤس لهذه الندوة ، ولكن عندما تظهر علامات التطور ، فإن كل المولويين سيحملون ويسقطون عليك. (حياة شبلي ٦٣٩)

كان شبلي مثالًا للإخلاص والاحترام الإنساني، فلم يتحمل هذه المؤامرات والدسائس. وبعد أن بذل جهودًا كبيرة للإصلاح، استقال أولًا من تحرير مجلة الندوة عام ١٩١٢، ثم من دار العلوم ندوة العلماء عام ١٩١٣، رغم أنها كانت قد أصبحت مدرسة ضخمة بحجم جامعة.

استقال شبلي في وقت كانت فيه الندوة في أوج تطورها، مما أثار احتجاجًا واسعًا. فقد أضرب الطلاب عن الدراسة، وناشده العلماء والمحبون من جميع أنحاء الهند للعودة، لكنه غادر بهدوء إلى بلدته أعظم كره، واضعًا حدًا لرحلته مع ندوة العلماء.

وقد تقرر أن يتولى المولانا خليل الرحمن إدارة الندوة، وهو الذي أراد أن يدير هذه الدار بأسلوب قديم بحت، مما جعله لا يتفق حتى مع الأهداف والغايات الأساسية لتأسيس الندوة. وصدق قول الشاعر الأردي:

میر کیا سادے ہیں بیمار ہوئے جس کے سبب
اسی عطار کے لڑکے سے دوا لیتے ہیں

[ترجمة: كم هو ساذج مير! فقد مرض بسبب ذلك العطار، لكنه لا يزال يأخذ الدواء من ابنه]

هذا هو تفصيل لكلام المولانا الذي أوجزه بهذه الكلمات: "جاء المولانا شبلي نعماني إلى هناك متعباً من مسيرة الحياة، وقرر البقاء في أعظم كره، متخليًا عن جميع الأنشطة في الخارج، سواء في لكناو أو غيرها."

حادثة إصابة قدم شبلي

يروي المولانا الإصلاحي حادث إصابة قدم شبلي، إذ ذهب شبلي إلى بلدة أعظم جراه في ١٧ مايو ١٩٠٧ لحضور حفل. وبعد أن نهض من المكتب وذهب إلى غرفة النساء، جلس على المقعد ومدّ قدميه إلى الأسفل. كان هناك مسدس ملقى بالقرب منه، وهو المسدس الذي احتفظ به ابنه حامد حسن لقتل الغربان التي كانت تفسد الفاكهة في بستان الليتشي. كانت البندقية ممتلئة، وأراد المولانا تسليمها لزوجة ابنته حتى تحتفظ بها في مكان آمن، ولكن أثناء المناولة، ضغط على الزناد دون قصد. وعلى الرغم من أن البندقية كانت موجهة للأسفل، إلا أن الفوهة كانت موجهة نحو قدمه من مسافة قريبة. وفقًا للسيد سليمان الندوي، فقد تحطم كاحل المولانا تمامًا، وباتت قدمه معلقة من الساق بحزامين فقط. وعند إخراجها، بقي الكعب داخل الحذاء، مما استدعى بتر القدم من الساق. أمضى المولانا بقية حياته مرتديًا قدمًا اصطناعية.

حادثة كانبور وتقييد العلماء بالسلاسل

في عام ١٩١٣، تم توسيع طريق في مدينة كانبور الواقعة في مقاطعة أترابراديش، مما جعل مسجدًا يقع في سوق السمك ضمن مخطط التوسعة. وعندما احتج المسلمون، تقرر هدم الجزء الشرقي فقط من المسجد، والذي كان يتكون من غرف الوضوء، مع تقديم الحكومة البريطانية بديلًا لهذا الجزء. لكن بعض المسلمين المتحمسين العاطفيين لم يقبلوا بهذا القرار ورفعوا دعوى قضائية، إلا أن الحكم جاء ضدهم. بعد صدور الحكم، هدمت الحكومة الجزء الشرقي من المسجد وبدأت في بناء الطريق. وعندما حاول المسلمون إعادة بناء الجزء المهدم، أطلقت القوات البريطانية النار عليهم، مما أدى إلى استشهاد عشرات المسلمين، بمن فيهم الأطفال.

كتب شبلي قصيدة طويلة عن هذه المأساة، وأشاد الشيخ الإصلاحي ببعض أبياتها، ومنها:

عجب کیا ہے جو نوخیزوں نے سب سے پہلے جانیں دیں
کہ بچے ہیں سویرے ان کو جلد سو جانے کی عادت ہے
شہیدان وفا کی خاک سے آتی ہیں آوازیں
کہ شبلی بمبئی میں رہ کے محروم سعادت ہے

[ترجمة: ليس غريبًا أن يكون الصغار أول من قدّم أرواحهم، فهم أطفال اعتادوا النوم مبكرًا. وتصاعدت أصوات الشهداء من تحت الثرى، معاتبةً شبلي على بقائه في بومباي، حيث حرم من شرف الشهادة وسعادة التضحية]

وفاة الأخ وتحول المدرسة إلى كلية

كان مولوي إسحاق، الأخ الأصغر لشبلي، محاميًا ناجحًا وزعيمًا سياسيًا نشطًا، وعضوًا في الرابطة الإسلامية (مسلم ليك). لكنه عارض بشدة نظام الانتخابات المنفصلة، إذ كان، مثل شبلي، يعتبره مؤامرة بريطانية ضد الوحدة الوطنية. كان إسحاق يتولى أمور أراضي العائلة والمشاكل الإدارية، مما أتاح لشبلي التفرغ للعمل الأكاديمي والديني. ولكن بوفاته في ٥ أغسطس ١٩١٤، خسر شبلي دعمًا كبيرًا، مما دفعه إلى الاستقرار نهائيًا في أعظم كره. ومع ذلك، حاول التغلب على حزنه بإكمال الأعمال غير المكتملة التي بدأها أخوه.

في سرائي مير، كانت عائلة شبلي قد أسست مدرسة وطنية، لكنها تراجعت مع الوقت. أعاد المولوي إسحاق تنظيمها، وكان يخطط لترقيتها إلى كلية، لكن القدر لم يمهله. وبعد وفاته، استمر شبلي في العمل على تحقيق هذا الهدف، حتى حصلت المدرسة على مكانة الكلية في عام ١٩٤٠، وسُمّيت بـ"كلية شبلي" تحقيقًا لوصيته.

تأسيس دار المصنفين ومدرسة الإصلاح

في عام ١٩٠٦، أسس أقارب المولانا حميد الدين الفراهي وغيرهم من المسلمين الطيبين جمعية إصلاحية قرب قريته فريحة، كانت تهدف إلى استضافة العلماء وإلقاء المحاضرات الدينية. مع مرور الوقت، تحولت إلى مدرسة رسمية عام ١٩٠٩، وتم بناء مبنى بسيط لها.

في عام ١٩١٠، طلب شبلي من المولانا حميد الدين الفراهي الحضور إلى سراي مير لبضعة أيام لإجراء تحسينات على المدرسة. واستمرت المدرسة في التطور بعد ذلك، حيث أقال شبلي أحد الإداريين بسبب شكاوى متكررة ضده، وجلب طالبين موهوبين من الندوة، هما عبد الرحمن النجرامي ومعين الدين النجرامي.

وبعد استقالته من الندوة، قرر شبلي أن يجعل هذه المدرسة محورًا لأحلامه التعليمية. فكتب رسالة إلى المولانا الفراهي، يعرض عليه الانضمام إلى المشروع،

قائلًا:

"في بعض الأحيان، يخيل إليّ أنه يجب أن يكون هناك مركز واحد يجمع بين الدين والدنيا، يتم فيه إعداد دعاة الإسلام، ويمنح الدراسات الدينية العالية كما لو كانت جامعة. فإذا لم يكن العمل في الندوة ممكنًا، فيجب إنشاء دائرة أخرى نعيش جميعًا فيها، وتضم مكتبة محترمة. إذا كنت على استعداد لذلك، فأنا أيضًا حاضر." (رسائل شبلي، إلى حميد ٦٧)

لاحقًا، عين المولوي مسعود علي لإدارة المدرسة، وبدأت تتبلور فكرة إنشاء جامعة إسلامية متكاملة، تضم دار المصنفين ومدرسة الإصلاح. وكان شبلي على فراش المرض حين اجتمع تلاميذه لإكمال مشروعه، حتى إنه في اليوم الثالث بعد وفاته، عقد المولانا حميد الدين اجتماعًا مع بعض طلابه، وأطلقوا على أنفسهم "الإخوان الصفا"، متعهدين بمواصلة إرث شبلي.

وهكذا، تحققت أمنية شبلي في تأسيس مدرسة الإصلاح، ووضع المولانا الفراهي منهجًا متميزًا لتعليم القرآن الكريم. وقد خلّد المولانا الإصلاحي هذه الجهود بقوله إن "تفاصيل هذه الأحداث هي مسؤوليتك في حفظها وروايتها."

(للحديث صلة)

نقله إلى اللغة العربية: أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي

دكتور محمد غطريف شهباز الندوي[1]

أمير البيان شكيب أرسلان كاتب كبير وداعي العروبة والإسلام

الحلقة الأولى

إن شكيب أرسلان كان عَلما من أعلام العالم الإسلامي العربي في القرن العشرين، وكان يُعد وبحق أكبر كتاب الشرق في زمانه، والمعاصرون له كانوا يلقبونه بأمير البيان لكثرة

مادبج يراعه من مقالات اجتماعية وسياسية وأدبية مع كتاباته التاريخية ببراعة نادرة واستيعاب بديع لايترك شاردة ولاواردة في موضوع يكتب عنه إلا واستقصاه بجميع جوانبه باحتوائية شاملة.(1)

وقد أثنى عليه الكثيروأشاد كتاباته وجهوده من الكتاب الإسلامين الكبار بمن فيهم الإمام أبو الحسن علي الندوي والأستاذ مسعود عالم الندوي ورشيد رضا، ومصطفى صادق الرافعي، وعلي الطنطاوي ومن إليهم من الكتاب الكبار.

والعصر الذي عاشه شكيب أرسلان كان عصر شهد التقلبات السياسية والتحولات الاجتماعية والتطورات الفكرية والثقافية والاقتصادية. وشهد استيلاء الغرب واستعماره الغاشم من أقصاه إلى أقصاه، واحتلاله لأكثر البلدان المسلمة من آسيا الوسطى إلى القارة الهندية. وهذا الاستعمار الغربي كان يمثله الاستعمار الفرنسي

---

[1] باحث مشارك في المركز لتعزيز التعليم والثقافة لمسلمي الهند جامعة عليكرة الإسلامية عليكرة.

في بعض الأمكنة والاستعمار الانجليزي في أكثر البلدان، في حين أنه كان استعماراً طليانيا أو هولا نديا في بعض الممالك. والاستعمار الغربي لم يكتف باستعباد الممالك والأمم الإسلامية سياسياً فقط، بل أراد تحجيم الحياة التعليمية والثقافية والمعيشية وتبديل اللغات الرسمية من اللغات الشرقية إلى الغربية. والقضاء على التجارات والصناعية والحرف المحلية والوطنية والأحوال الاجتماعية والأخلاقية والدينية أيضا كانت حرجةً ومقلقة للغاية. فكان هناك تنافر وتناحر شديدين بين الشيعة والسنة كما أن العلماء الجامدون المتشددون من كل طائفة وفرقة كانوا يأججون نار الفرقة والخلاف دائما في الأمور الخلافية. والمرتزقون للاستعمار كانوا يزيدون في ذلك، بنشر الأكاذيب والتهم والأباطيل التي تشعل نار الفتن والحروب والنزاعات الطائفية والمذهبية في أوساط المسلمين في كل مكان. والاستعمار الغربي حيث سلط نفوذه أكل كل موارده ومصادره المعيشية وعمل في تضعيف التجارة والصناعة في البلدان المسلمة، يقول شكيب مصوراً هذه الأحوال:

"وكذلك كانت الأحوال الاقتصادية متدهورة جدا، فقد تضائلت تجارة المسلمين وصناعاتهم وكسدت أسواقهم بسبب القوى الغربية الاستعمارية الظالمة عليهم من انجليز وفرنسيس وغيرهم فذبلت انتاجاتهم."(٢)

وعلى النطاق الفكري والثقافي كان هناك ركود علمي وجمود فكري عظيم والشعر والأدب العربي كان مكبلاً بالأغلال والسجعات وتقليد المتأخرين لفظاً ومعناً فقد وصف شكيب نفسه الحالة الأدبية في لبنان وسورية وهما من أخصب البلدان العربية قريحة وقرضاً للشعرآنذاك فقال:

"ولم يكن منذ خمسين سنة بمصر والشام والعراق والمغرب معشارالعدد الذي نجده اليوم هذا من هذه الطبقة الراقية في الأدب منذ خمسين سنة فما قبل."(٣)

فهذه كانت الأوضاع المتأزمة بالإيجاز التي يواجهها المسلمون في كل مكان، إلا أنه بسبب جهود المصلحين المخلصين من أمثال الإمام جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد علي السنوسي ومهدي السوداني والأمير عبد القادر الجزائري والشيخ محمد عبده وعلماء الهند وغيرهم من رجال الإصلاح والفكر والدعوة، الجهود الجبارة قد بدأت السحب تنكشف، وتباشير النهضة كانت واضحة طالعة

على آفاق السماء العربي والإسلامي، فقد جائت الصحافة والطباعة بمصر ولبنان وسورية وبدأت العقول تفكر وتعمل وأخذت قيود اللغة وأغلال السجع والقافية تنتكس والمدرسة الخلدونية وماتبعها من مدارس الأدب المتطورة كانت في طريقها إلى النمو والازدهار والمدرسة الحريرية إلى أفول وذبول.[٤]

في هذه الخلفية ولد الأمير شكيب أرسلان بقرية شويفات بمقاطعة لبنان من سورية حينذاك في رمضان المبارك سنة ١٢٨٦ للهجرة في أسرة درزية عريقة في المجد والعلم والكرم. انحدر أصلها من بني لخم من كهلان أسرة المنذر ابن ماء السماء ابن ملك النعمان ممدوح النابغة الذبياني. وقد اورد الزركلي شجرة نسبه الكاملة في الإعلام[٥] وقد تشرف جده الأمجد بالإسلام في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأفراد عائلته كانوا يشغلون مناصب حكومية من لدن العهد العباسي إلى الخلافة التركية العثمانية. ووالد الأمير شكيب أرسلان الأمير حمود أرسلان كان واسع الصيت رفيع المقام في قومه، تسلم الحكم في المنطقة واشتهر بالحزم وعمق الفهم وشدة الذكاء وأصالة الرائي، وحب العلم والأدب فأخذ بأسباب العلم وشغف بالعلماء. وكان مديراً لناحية "الشويفات" يعيش فيها على بسطة في الحياة مع زوجه الشركسية، فولد له خمسة أولاد هم: نسيب وشكيب وحسن وأحمد وعادل، نشأهم تنشئة عربية وأخذ بيدهم إلى الثفافة والعلم ونجح في تربيتهم فكان ثلاثة منهم أصبحوا فيما بعد أعلاماً في الشعرالعربي،ذهب صيتهم في الاقطار العربية وتناقلت قصائدهم أندية البيان، فكان للأمير نسيب ديوان مطبوع هو روض الشقيق وكان للأمير عادل شعر مجموع لايقل شأناً عن أخيه فيه، وكان للأمير شكيب كتابات جمة وآثار نثرية كيرة.

ويدل كل ذلك على أن أسرة شكيب كانت في مكانة مرموقة عالية من الاحتشام والجاه، وازدهرت صلاحياته الأدبية وقرائحه الزكية عند أستاذه الشيخ البستاني، ثم عند حضرة الشيخ الإمام محمد عبده، الذي كان مقيماً في بيروت آنذاك بعد إجلائه من مصر وكان يختلف كثيراً إلى والد الأمير شكيب وما بلغ شكيب الثامنة عشرة من عمره حتى دخل مع أخيه نسيب المدرسة السلطانية في بيروت سنة ١٨٨٧ للميلاد وتلقى فيها علوم التركية والفقه ورشف من مناهل الإمام الكبير محمد عبده وأخذ عنه في المدرسة مجلة الأحكام العدلية وعكف على دروسه

مفتوناً به مولعاً بأثاره فقد تاثر كبيراً من أفكاره الإصلاحية كما قد أشار الأمير نفسه إلى ذلك في روض الشفيق[٦] وتوفي والده في هذه السنة فحرم عطفاً كبيراً.

وماهي إلا سنوات عديدة حتى رحل إلى دمشق وبدأ يجالس المشاهير ويتعرف عليهم من أمثال سعد زغلول والشيخ علي البستاني والشيخ علي يوسف صاحب مجلة المؤيد وحفني ناصيف وأحمد زكي باشا، وطفق وهو مازال في سن الشباب ينشئ علاقات شخصية وأدبية مع أعلام عصره وخاصة حين أتيحت له الفرصة للذهاب إلى القاهرة مع الشيخ محمد عبده سنة ١٨٩٠م فلقي هناك أعاظم رجالها وكبار كتابها أمثال الشاعر محمد اسماعيل باشا الصبري وأمير الشعراء شوقي والبارودي وعبد الله باشا الفكري، فظل طيلة حياته متوداً معهم ومحباً لهم. ثم ارتحل إلى استانبول حيث كان الشعلة الملتهبة الوقادة السيد الثائر جمال الدين الأفغاني مقيماً بها. وتعرف إليه واستقى من مناهله وطمح إلى آفاق واسعة كانت محط نظره دائما وفهم العالم العربي وأدرك أمراض العالم الإسلامي، وتطلع إلى رسالة جديدة يتخذها دستورَ حياته ومراد أفكاره، والشيخ الأفغاني بدوره احتفى بذكاء الأمير الشاب وفطنته الموهوبة وآثره وأحبه جداً ووصف شكيب لقاءه باسلوبه الرائع في حاضر العالم الإسلامي فقال:[٧]

"كنت لما عدت من أوربا إلى الآستانة سنة ١٨٩٢م ذهبت إليه في نهار ولي فاستقبلني براً وترحيباً ولزمته تلك المدة إلى أن اضطررت إلى السفر إلى وطني سورية، ففارقته أسفاً وأنا أمني نفسي بالعودة إلى الأستانة لمشاهدته والاستفادة منه"إلخ. (٢٩٨ -٢)

ثم رحل إلى باريس سنة ١٨٩٢م وهو في الثانية والعشرين، فرأى الغرب بعيني محمد عبده وجمال الدين ونظر إليه نظرة فحص دقيق فتحت أمامه آفاق جديدة للغرب وفكره وإداراته وطموحاته. وعاد بعدها إلى بيروت، وتعرف إلى السيد رشيد رضا، واتصل به فازداد وثوقاً في ثقافته ومبادئه وغاياته، وظلت هذه الصلة منبعاً لكثيرمن آراءه حتى قضى الشيخ رشيد رضا.[٨]

ثم رجع إلى مصر وشغل منصباً للحكومة فعين قائم مقاماً لقضاء الشوف سنة ١٩٠٨م وظل في هذا المنصب أشهراً عديدة، يديرالأعمال في إدارة حازمة كأبيه وفي إباء وحزم وشمم على مثل أجداده، وكان غير منحاز وغير متعصب للعرب وللأتراك

وكانت هناك خلافات مع السياسة التركية المحلية فتبرم من منصبه فاستقال وانتخب بعد ذلك نائباً عن خوران في مجلس النواب في البرلمان التركي بالآستانة، الذي كان في ذلك الوقت يقال له "مجلس المبعوثان" وظل بهذه العهدة حتى الحرب العالمية الأولى، وكان يقضي فارغ أوقاته بكتابة المقالات والبحوث لصحف الأهرام والمؤيد وغيرها، ثم شارك في حرب طرابلس عام ١٩١١ م كمتطوع من قبل اتحاد الهلال الأحمر بمصر وكان قد عين مفتشاً لبعثات الهلال الأحمر المصري، وتظاهر بشجاعة نادرة مصاحباً للغازي أنور باشا والذي كان متأثراً جدا بإصابة رأيه وحسن مشورته. وهنا زار أيضاً زاوية السنوسيين ولقي شيخهم المرشد الشيخ أحمد السنوسي وكتب مقالاً رائعاً في سيرته وقد قرأناه في كتاب السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي "مختارات في الأدب العربي" الثاني. والذي هو شامل في المقرر الدراسي لدار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ.[٩]

ثم رأس شكيب بعثات مختلفة أثناء حرب بلقان عام ١٩١٢م وحين نشبت الحرب الكونية الأولي بين دول أوربا المختلفة سنة ١٩١٤م كانت تركيا متحالفة مع الألمان ضد القوى الاتحادية. وكان الأمير شكيب ارسلان لا يحب الخلافة العثمانية والأتراك فقط بل كان يعشقهم وكان له علاقات خاصة عميقة برجالات وأعضاء "جمعية الاتحاد والترقي" ووزراء الخلافة والأمراء الأتراك الآخرين وخاصة المجاهد الشهير أنور باشا. فكان لا يحب مغادرة الخلافة والأتراك في مثل ذالك الوقت العصيب الرهيب بينما القادة العرب الآخرون يطالبون الاستقلال الداخلي للعرب، وزعماء الاتحاد وهم الثلة الحاكمة -بدورهم- كانوا يماطلونهم على المواعيد. وبسبب موقفه هذا تجاه الخلافة والترك قد أتهم شكيب من قبل معانديه بتهمة الحماية المنحازة للأتراك على أن شكيبا كان يخال الخلافة العثمانية معقلاً آخراً ويراها رمزاً خيراً لعظمة الإسلام، وكان يرى بشكل ذهابها ذهاب رهبة الإسلام وجلالة بصفتها بمثابة القلب للكيان الأمة الإسلامية.

وكانت حياة شكيب في ذلك الوقت نضالاً بين جهتين يحاول أن تتقاربا على بعد الأهداب والغايات وكان يسعى أن يجعل منها قوة واحدة ضد الخطر الأوربي ولكن كانت سياسة الأتراك تدور حول التعصب التوراني وتحقير العرب وسياسة العرب كانت جاهلة خرقاء، أوقعتهم في أحضان الغرب الداهي المتآمر، مستجيرين

بهم ودفعتهم بالإيمان بالحلفاء ظناً بأن الغرب مخلص في تحريرهم من براثن الترك المتجبرين كما أخلصوا في تحرير دول أوربا الشرقية من حكم الترك. ويالهامن سياسة عربية حمقاء! ويالهامن اغترار بالأكاذيب والدعايات الغربية الكاذبة!

ولكن شكيبا وعدداً قليلاً من رفاقه من دعاة التحرير يفهمون جيداً أن الغرب يعمل للغربيين مخلصاً ويعمل للعرب منافقاً يتظاهر بالإخلاص وهو يضمر الشر ويخفي مصالح الاستعمار. ولذا وقف شكيب ضدبني قومه في استنبول حين دعوا إلى الانسلاخ عن العثمانيين وأعلن أنه سيكون في الصف المقاوم للحسين بن علي شريف مكة والذي كان يتحالف مع الانجليز ضد الترك وأنه ينتقد سياسته في الخروج على دولة الخلافة. ولذلك نرى أن دعاة القومية العربية قد قاموا بتوجيه الحملات والتهم الشديدة إلى شكيب حتى أنه قال بنفسه:

"وكان الملك حسين عفا الله عنه وأنصاره من العرب يحملون عليّ حملات شديدة باللسان والقلم وكثيراً ماكتبت جريدة"القبلة"طعناً وقذفا بحق كاتب هذه السطور(شكيب أرسلان) يدل على ماهناك من ضغن."[١٠]

وانكسرت الألمان في الحرب شر انكسار وانهارت معها جيوش العثمانيين أيضاً وخابت آمال شكيب فحاول الالتحاق بالقائد التركي أنور باشا، حتى أنه حاول إنشاء سلطنة إسلامية في أفغانستان وأن يجلس القائد أنور باشا على عرشها، لكن جيوش القوقاز الحمراء قضت على كتائب أنور باشا وقتل القائد الشهيد نفسه في المعركة في ١٩٢٠.[١١]

والآن اضطر شكيب أن يغير سياسته ولما عرف أن مقامه في سوريا ولبنان غدا مستحيلاً لجأ إلى مرسين من أراضي تركية حتى يكون على مقربة من أسرته وأمه الحنون. وعلى كل بما أن تركيا قد لقيت انهزاماً موجعاً وانفلتت الأقطار العربية كلها من أيديها واحدة تلو الأخرى، مما جعل الخلافة خروقاً وشقوقا، وعلى انتهاء الحرب حين أغضى الاتحاديون الغربيون عن مطالبات العرب ضربا كل المعاهدات والاتفاقيات ضرب الحائط هنالك بهت الأمراء وقادة العرب واندهشوا بما وقع لهم من الاغترار بمواعيد أعداء العروبة والإسلام الألداء، وعقدهم الأمال الجسام بالقوى الاتحادية، وانكشف لهم مصداقية رأي شكيب ومن معه من زعماء وقادة الإصلاح.

فلم يستبينو الرشد إلا ضحى الغد.

(المقال مستخرج من ورقة دكتوراة أحرزبها محمد غطريف شهباز الندوي درجة دكتوراة من قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية سنة ٢٠٠٦م)

الهوامش

١- شكيب أرسلان، النهضة الأدبية، ص ٢٣.

٢- شكيب أرسلان، الجزء الثاني من حاضرالعالم الإسلامي المجلد الثاني، ص ٢٥٩.

٣- شكيب أرسلان مقدمة الطبعة الأولى حاضر العالم الإسلامي دار الفكر بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م.

٤- الاستاذ أنور الجندي، الأدب العربي الحديث مقدمة، ص ٢.

٥- الزركلي، خيرالدين، الإعلام، الجزء الأول، ص ١٧٤.

٦- شكيب أرسلان، روض الشقيق، تعليقات الأمير شكيب، ص ١٧-١٨٥.

٧- شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ٢ ص ٢٩٨.

٨- الدكتور سامي الدهان، محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان، ص ١٣.

٩- أبو الحسن على الحسني الندوي، مختارات من أدب العرب، الجزء الثاني، مجلس الصحافة والنشر والتوزيع، دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ.

١٠- الدكتور سامي الدهان، محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان، ص ١٦.

١١- نفس المصدر، ص ١٦.

(يُتبع)

شاهد محمود

نشرة أخبار "المورد" أمريكا

(أبريل ٢٠٢٥م)

البث الرمضاني لمركز الغامدي

نظّم مركز الغامدي خلال شهر رمضان سلسلة برامج إذاعية خاصة، تناولت مواضيع دينية وأخلاقية وتربوية، بمشاركة الأستاذ جاويد أحمد الغامدي ونخبة من طلابه. ركّزت هذه البرامج على فضائل شهر رمضان وأحكام الصيام، وسلطت الضوء على الجوانب الروحية والتربوية لهذا الشهر المبارك. يمكن متابعة تسجيلات جميع الحلقات عبر القناة الرسمية للمركز على يوتيوب.

النسخة الصوتية لترجمة الأردية للشيخ أبي الأعلى المودودي - عليه الرحمة - للقرآن الكريم

أصدر مركز الغامدي النسخة الصوتية للترجمة الأردية الشهيرة للقرآن الكريم، التي أعدّها العالم والمفكر الإسلامي السيد أبو الأعلى المودودي، مؤسس الجماعة الإسلامية. وتم تسجيل هذه الترجمة بصوت أرشد محمود، الذي أضفى عليها عمقًا وتأثيرًا بصوته المميز. وخلال شهر رمضان، قُدّمت مقاطع يومية من هذه الترجمة عبر قناة المركز على يوتيوب، لتقريب معاني القرآن الكريم إلى الجمهور. ويمكن الاستماع إلى النسخة الكاملة للترجمة الصوتية على القناة الرسمية للمركز.

إطلاق مجلة "إشراق" شهرية باللغة البنغالية في بنغلاديش

أعلن مركز الغامدي عن إصدار مجلة شهرية جديدة بعنوان "إشراق أمريكا" باللغة البنغالية، لتوسيع نطاق إصداراته التي تشمل الأردية والعربية والإنجليزية، وذلك بهدف إيصال فكر الإمام فراهي إلى الجمهور البنغالي. صدر العدد الأول من المجلة في مارس/آذار ٢٠٢٥، في خطوة تعكس التزام المركز بنشر المعرفة والفكر المستنير عالميًا. تصدر المجلة تحت إشراف الأستاذ جاويد أحمد الغامدي، ويرأس تحريرها المولانا عمر فاروق، بينما يتولى محمد حسن إلياس إدارتها التحريرية. يمكنكم الاطلاع على العدد الأول عبر موقع مركز الغامدي.

دروس الحديث الرمضاني على قناة مركز الغامدي

بثّ مركز الغامدي سلسلة دروس رمضانية في الحديث الشريف عبر قناته على يوتيوب، قدّم فيها الأستاذ جاويد أحمد الغامدي شرحًا مفصلًا حول فضائل وأحكام الصيام، بالاعتماد على الأحاديث الواردة في "كتاب الصوم" من "مشكاة المصابيح". كما تناول موضوع ليلة القدر، وأحكام قضاء الصيام، وصيام المسافر، إلى جانب مناقشة مسائل فقهية متنوعة تتعلق بالصيام. يمكن متابعة تسجيلات هذه الدروس عبر القناة الرسمية لمركز الغامدي على يوتيوب.

جلسات الأسئلة والأجوبة المباشرة مع باحثي مركز الغامدي

في مارس ٢٠٢٥، عقد مركز الغامدي سلسلة جلسات مباشرة للإجابة عن أسئلة الجمهور حول مختلف القضايا الدينية والأخلاقية والفقهية المتعلقة بشهر رمضان. شارك في هذه الجلسات عدد من علماء المركز وباحثيه، منهم: الدكتور عمار خان ناصر، والدكتور خالد ظهير، ومحمد حسن إلياس، والدكتور عامر غزدار، والدكتور عرفان شهزاد، حيث قدموا إجابات وافية مدعومة بالأدلة العلمية. تتوفر تسجيلات هذه الجلسات على القناة الرسمية للمركز على يوتيوب.

رحلة في رحلة

هي سلسلة متواصلة من الفعاليات في مركز غامدي. وفيها يتم للجمهور تقديم قصة حياة ورحلة علمية لأشخاص من ذوي المعرفة والمهارة. في الشهر الماضي، وفي إطار هذه السلسلة، أجرى نعيم بلوش مقابلة مع رئيس مؤسسة

"إنذار"، المفكر والكاتب المعروف ريحان أحمد يوسفي، حيث تحدث عن رحلته الفكرية وأهم المحطات في حياته. علاوة على ذلك، تمت مناقشة مشروعه الحالي "حكاية الإنسان" وردا على سؤال، أخبر نعيم بلوش كيف تأثر بفكرالفراهي في رحلته الفكرية وكيف تحرر من خلاله من كل هموم قلبه وعقله. يمكنكم مشاهدة تسجيل هذه المقابلة على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

ذكريات

أطلق مركز غامدي سلسلة جديدة بعنوان "ذكريات" تهدف إلى تسجيل أحداث مهمة في تاريخ "المورد" وإعادة ذكريات عمرها أربعون عاماً للمشاهدين. ويستضيف البرنامج الدكتورة غزل شودري، ويشارك فيه كضيف كل من الدكتور خالد ظهير ونعيم بلوش، طلاب المرحلة الابتدائية في المعهد الإسلامي التعليمي "المورد". في مارس ٢٠٢٥، تم بث برنامجين من هذه السلسلة على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

ما هي مخاطر الصيام على المرأة؟

خلال شهر رمضان، قد تم تشكيل برنامج من ثلاث جلسات بعنوان "ما هي مخاطر الصيام على المرأة؟" وتم تسجيلها على قناة اليوتيوب النسائية "صالحات" التي يديرها مركز غامدي. وكان مقدم البرنامج هو نعيم بلوش، فيما حضرته نورين شيخ كضيفة. وأشار نعيم بلوش إلى المشاكل التي تواجه المرأة خاصة خلال شهر رمضان المبارك، وتحدثت نورين الشيخ بإسهاب عن هذه المشاكل ولفتت انتباه المرأة إلى قضايا مهمة.

رحلة إلى رحلة

مع معز أمجد في الشهر الماضي، شارك معز أمجد كضيف في السلسلة المستمرة بعنوان "رحلة في السفر" التي ينظمها مركز غامدي. قام بتسجيل برامج حول مواضيع أخلاقية وعلمية مختلفة. ومن بين المواضيع المهمة التي تمت مناقشتها في هذه البرامج: "قضايا نظام التعليم في باكستان"، و"زوايا التربية الروحية"، و"حياة الإيمان"، و"الآباء والأبناء". يمكنكم مشاهدة هذه البرامج على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

قصص الأنبياء

قدمت قناة مركز غامدي الفضائية برنامجا خاصا بمناسبة شهر رمضان المبارك تضمن قصص الأنبياء للأطفال. وفي هذا الصدد وردت قصص سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى (عليهما السلام). يتم بث هذه السلسلة تحت عنوان "قصص الأنبياء". تعتمد هذه القصص على أبحاث وكتابات نعيم بلوش ويتم سردها من خلال كلماته الخاصة. دانيال نعيم هو مضيفها. وكانوا يسألون نعيم بلوش عن الأمور الشائعة في قصص الأنبياء التي تتعارض مع القرآن، فيجيبهم. يمكنكم مشاهدة تسجيلات هذه القصص على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

حفل الإفطار في مركز غامدي

خلال شهر رمضان، نظم عدد من الأصدقاء حفل الإفطار الأسبوعي في مركز غامدي، شارك فيه العشرات من الأشخاص، بالإضافة إلى الأستاذ غامدي والأستاذ محمد حسن إلياس ، إلى جانب عائلاتهما. وخلال وجبة الإفطار، ناقش المشاركون أيضًا مواضيع مختلفة مع الأستاذ غامدي والأخ حسن إلياس.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يتم مناقشة موضوع "الإسلام والدولة" في سلسلة مقاطع الفيديو "٢٣ اعتراضًا" المستمرة التي ينظمها مركز غامدي. وفي الجلسات التي عقدت حول هذا الموضوع في شهر مارس ٢٠٢٥، تمت مناقشة آيات القرآن الكريم التي تحتوي على كلمتي "الأمر بالمعروف" و"النهي عن المنكر". وقد عرّف الاستاذ غامدي هذه الآيات بالخير والشر. وأوضح أن أوامر الشريعة ونواهيها منفصلة، وأوامر الأخلاق ونواهيها منفصلة، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لوازم الإيمان. يمكنكم مشاهدة تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

مقاصد وغايات أحكام الشريعة

في هذه المقالة يشرح سيد منظور الحسن رئيس تحرير "إشراق" أمريكا، ، غاية وهدف أحكام الشريعة، ويوضح غاية إرسال الإنسان إلى الدنيا، والطريقة التي ارتضاها الله لتحقيق هذه الغاية. ويقول إن هدف الإنسان هو الجنة، والطريقة التي شرعها الله للوصول إلى هذا الهدف هي تطهير النفس وتزكية الذات ولذلك فإن التزكية وحده هو الغاية والهدف النهائي في الدين. وتسمى

القواعد التي وضعها الدين لهذا الغرض بـ "الشريعة". ومن أركانها: العبادات، وتطهير البدن، وتطهير الأخلاق، وتطهير الطعام والشراب. يمكن قراءة هذا المقال في عدد مارس ٢٠٢٥ من مجلة "إشراق أمريكا" الشهرية الأردية .

السؤال والجواب مع الأستاذ محمد حسن إلياس

بدأ الأستاذ محمد حسن إلياس، مدير البحث والاتصال في مركز غامدي، سلسلة برامج بعنوان "اسأل حسن إلياس" مع قناة اليوتيوب المعروفة "المسلم اليوم". برنامج أسئلة وأجوبة، يجيب فيه حسن إلياس على الأسئلة العلمية والفكرية والدينية التي يطرحها الجمهور. تناول البرنامج في الشهر الماضي مسائل تتعلق بقدوم شهر رمضان، والمعجزات والسحر، والطبيعة، والتطور، ومنهج الخلاف العلمي، والتقليد، وإتمام الحجة. ويتوفر تسجيل لهذا البرنامج على قناة مركز غامدي على اليوتيوب.

سلسلة "تفهيم الآثار"

ضمن سلسلة "تفهيم الآثار" المستمرة التي ينظمها مركز الغامدي، خُصصت جلسات شهر مارس ٢٠٢٥ لدراسة الآيات والأحاديث المتعلقة بشهر رمضان. وقد تناولت هذه الجلسات موضوعات مهمة، مثل: نزول القرآن في رمضان، الوحي الأول، قيام الليل وصلاة التراويح، وليلة القدر والاعتكاف. يمكن متابعة تسجيلات هذه الجلسات عبر القناة الرسمية للمركز على يوتيوب.

برنامج "القرآن لشهر رمضان"

أطلق مركز الغامدي في مارس ٢٠٢٥ برنامج "القرآن لشهر رمضان"، الذي يقدمه الأستاذ شهزاد سليم يوميًا عبر قناته على يوتيوب. يركز البرنامج على تفسير آيات مختارة من القرآن الكريم، وهو مقدم باللغة الإنجليزية. يمكن مشاهدة تسجيلات الحلقات عبر القناة الرسمية للمركز على يوتيوب.

الزاوية التربوية الإلكترونية لمركز الغامدي

يواصل مركز الغامدي تقديم جلساته الأسبوعية ضمن سلسلة "الزاوية التربوية الإلكترونية"، التي يديرها معز أمجد، حيث يتناول فيها موضوعات متعلقة بتزكية النفس وتطوير الذات، مع إتاحة المجال للجمهور لطرح أسئلتهم. تضمنت الجلسات التي عقدت الشهر الماضي مناقشات حول: الضمير، قوة

الإرادة، قدوم رمضان، ضبط النفس، والحس الجمالي الإنساني. يمكن متابعة هذه الجلسات عبر القناة الرسمية للمركز على يوتيوب.

سلسلة "حياة أمين"

تناولت الحلقة الأخيرة من برنامج "حياة أمين"، التي نُشرت في مارس ٢٠٢٥، تحليلًا قدمه نعيم أحمد بلوش حول الخلافات التي نشأت بين الجماعة الإسلامية وحكومة باكستان بعد تأسيس الدولة، موضحًا أسبابها وتداعياتها. كما استعرض واقعة حضور المهاتما غاندي لاجتماع عام للجماعة الإسلامية في باتنا، والخطاب الشهير الذي ألقاه المولانا الإصلاحي، والذي تم تفسيره بشكل خاطئ في صحف حزب المؤتمر، مما أدى إلى سوء فهم بين الرابطة الإسلامية والجماعة. يمكن قراءة المقال كاملًا في عدد مارس ٢٠٢٥ من مجلة "إشراق أمريكا".

برنامج "المعرفة والحكمة" مع الأستاذ الغامدي

ناقش الأستاذ جاويد أحمد الغامدي خلال برنامجه الأسبوعي على قناة "دنيا نيوز" في مارس ٢٠٢٥، مواضيع محورية مثل: غرض العبادة، الصلاة الإلزامية والاختيارية، والإسلام والعبادة. كما تناول البرنامج أسئلة هامة، منها:

كيف يكون التعبد بدافع الخوف من المعصية والعقاب؟

ما سبب ضعف الحماس للعبادة؟

متى يجوز الجمع بين صلاتين؟

هل التسليم يمينًا ويسارًا في نهاية الصلاة جزء أساسي منها؟

يمكن متابعة تسجيلات الحلقات عبر القناة الرسمية للمركز على يوتيوب.

إصدار الفتاوى وفقًا للتعاليم الدينية

يتلقى مركز الغامدي للتعليم الإسلامي في الولايات المتحدة استفسارات متكررة حول التطبيقات العملية للشريعة الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بالزواج، الطلاق، الميراث، والمعاملات الاقتصادية والاجتماعية. وخلال الشهر الماضي، صدرت عدة فتاوى تناولت هذه القضايا، أعدها حسن إلياس استنادًا إلى أفكار الأستاذ جاويد أحمد الغامدي.

ملخص سلسلة فيديوهات "الاعتراضات الـ ٢٣" باللغة الإنجليزية

يواصل شهزاد سليم تقديم ملخصات لموضوعات سلسلة "٢٣ اعتراضًا"، التي

تتناول القضايا المثارة حول الفكر الإسلامي. وخلال الشهر الماضي، سجّل محاضرتين تلخصان موضوعي "الدين والطبيعة" و"الإجماع"، اللذين تمت مناقشتهما سابقًا في السلسلة. يمكن متابعة تسجيلات هذه المحاضرات عبر القناة الرسمية للمركز على يوتيوب.

(مترجمة من الأردية)